أوتيل كلافير

الكتاب : أوتيل كلافير
الكاتب : أحمد تاج
تصميم الغلاف : أحمد مصطفي
تدقيق لغوي : ميادة عادل
الإخراج الداخلي : منة الله المصري
رقم الإيداع : ٢٧٩٦٦/٢٠١٩
الطبعة : الأولى

٤ شارع كمال حسين متفرع من ومبي الهرم
ت : ٠١٠٠٥٧١٩٠٤٢ - ٠٢٣٥٩١٨١٨
Beyond.dbh@gmail.com
جميع الحقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

أوتيل كلافير

أحمد تاج

رواية

الجزء الأول

لا أعلم بما أسميها؟!

مذكرة..قصة.. مغامرة.. أوسمها أنت ما شئت، كل الأسماء جائزة.

التاسع والعشرون من أغسطس... جو قائظ الحرارة واللزوجة، في مكتبي المتواري خلف رواق طويل رخامي مبهر حيث التكييف معطل، كنت أجول بعيوني في الشارع الممتد أمامي من النافذة المفتوحة.. كل شيء هادئ وصامت بالمكتب في هذه الجهة.

عملي ممل ولا أستطيع نكران هذا البتة، معرفتي الغير قليلة بالفرنسية و الانجليزية أهلتني للحصول على رخصة الترجمة،كل ما يتطلبه الأمر مني هو مراجعة تراجم (المترجمين لديّ) ومهرها بختمي المنمق والتاريخ، ولا أنكر القول أن حتى تلك العملية "المراجعة" لا أقوم بها في الكثير من الأحيان.

يعج المكتب في الكثير من الأحيان بمن أتوا بأوراق أغلبها خاصة بالزواج والطلاق من أجنبيات... أوراق اعتماد جامعي،مستندات طبية ومستندات الحصول على تأشيرات الحالمين بالذهاب إلى الدول الشمالية الباردة ...ضجيج بلا إبداع... أشياء تافهة تدور في فلكي ولم أكن أحسب أني سأعمل بها يومًا من الأيام.

أنا أستاذ الوتريات السابق ومدرس البيانو الشهير في الكونسيرڤ (كونسرفتوار) ينتهي بي الأمر إلى مجرد مترجم محترف ومعتمد!

يدي الغبية امتدت لتلك الفتاة الأكثر غباء.. فقط أثارت عصبيتي فركلت ساقها عن بيدال البيانو ومسكت يديها لأوجهها قبل الريسيتال، من المفترض أن يكون أستاذ البيانو قاسيًا، هكذا كان أساتذتي.. هكذا تعلمت..

من المفترض أن أكون قاسيًا حازمًا وألا تلتحق المحجبات ومريضات رهاب الرجال "بالكونسيرف" إطلاقًا.. قضية اعتداء.. وصفت تحرش.. تركت على أثرها الكونسيرڤ بشكل غير مُشرِف وغير مأسوف عليّ.

لا أنكر أن الأمر ربما تخطى النهر.. ربما لامست كتفه .. احتكت ساقي بساقيها قبل الواقعة الفعلية بدقائق... أو ربما...

لاأتذكر،لاأعدذاتيمتحرشًاأوزيرنساءأبدًاالذافأنالاأتذكرماأفعلهفيكثيرمنالأحيان.

المهم، كنت أتصفح مواقع وبرامج حجز الفنادق والإجازات باحثًا عن مكان شاعري أقضي به ليلة عيد زواجي، كشخصٍ كريه متعجرف -كما يتم توصيفي في الأغلب- لم تكن علاقاتي جيدة بشكل يسهل عليّ إيجاد غرفة معقولة بسعر جيد في شرم الشيخ ، الغردقة أو حتى الساحل، حياتي العاطفية ليست على ما يرام أيضًا.

الأستاذة نسرين (هي أستاذة وتريات أيضًا) لم تعد علاقتي بها كالسابق، لاأعلم السبب تركي للمعهد أم أنها صارت أكثر انشغالًا به، ريسيتال هنا و (كونسيرت) هناك... سترافق الفنان فلان الفلاني في دولة كذا... ولديها محاضرة عن فلان في مدينة كذا.

حري بفنانة مثلها أن تتصدر الأخبار عوضًا عن هزات البطون و الأرداف، لكن الموسيقى دائمًا ما ينظر له الناس في مصر بمنطلق (آلاتي)... و (دق لنا شويه).

تَركتُ تدريس البيانو من دون رجعة منذ خمسة عشر عامًا على كل حال، قررت طلاقًا بائنًا بيني وبينه برغم اعتباري له سابقًا زواجًا كاثوليكيًا مقدسًا، نسرين من ناحية أخرى ترى أني أعشق تجرع الذل ومعايشة المأساة؛
فالتوقف عن التدريس لا يعني أبدًا التوقف عن العزف أو كتابة الموسيقى وأرى أن زيجتي بها تظهر جليَّة الآن كزواج مسيار.
بعد بحث جهيد وفشل ذريع .. جاءتني المهاتفة بصوتها متصنعة المرح:

- إدي... عاملالك مفاجأة.

اسمي هو هادي سري...وهي مفارقة كوميدية أصر عليها والدي أن أكون هادي بن سري، (أسرة كتومة جدًا) ويلقبني المقربون ب "إدي".

- جايلي offer ليلتين من اختياري في أوتيل .. ببلاش عرض من وكيل الحجوزات online .. صوره تجنن .. كأنه جاي من السما على ميعاد عيد جوازنا.

- هايل...فين؟!
رددت باقتضاب قبولي يعني فشلي في تدبير الأمر، إلى جانب كون العرض مجاني لا يعني أبدًا أنها لن تعايرني به فيما بعد!

- في المعادي مش بعيد.

طفقت أفكر بل ربما عبرت عن امتعاضي بـ (صوت خرج عن أنفي دون قصد) ما الحكمة في تحضير شنطة وركوب السيارة لمجرد التوجه من الزمالك للمعادي؟! كنت أنتظر إيجاد شيء في الساحل... في حر أغسطس.

- إدي... بلاش أسلوبك ده أنت عارف إنه "باز أبروبرييه دي تو"[1] إن كل ما كلمة متعجبكش تردلي عليها ب الأصوات دي "كوم آن كوشون"[2]... طنط ليلى كان هيجيلها سكتة قلبية بسببك قبل كده في خطوبة نادر لما عملت نفس الصوت... وأنا كنت في وسط هدومي لما عملتها قدام سيزاريو الشهر اللي فات.

انطلقت غاضبة فحاولت أن أدافع بهجوم مضاد:

- أولًا طنط ليلى عدت التسعين وطبيعي إنها يجيلها أكثر من مجرد أزمة... ثانيًا سيزاريو اللي العميد بتاعك فرحان بيه ده مش بيانيست أصلًا .... ده بيسرح ببيانولا، ثم إنه طلياني والطلاينة (بيشخروا)عادي.

١"pas approprie du tout - غير لائق مطلقًا.

٢"comme un cochon - كخنزير.

- بس بس بس...خلاص... قفل... أنت ميئوس منك... احنا اللي زينا يحتفلوا "بانيفيرسير"[٣] ليه؟!

"اون دوا مييوَ ديفورسيه"[٤]...أنت مبقتش...
- نسرين.... "چيُوتـ اون سوبلي"[٥]... خلاص... موافق موافق.

يقولون إن الإذعان والرضى الإجباري هو بداية الطريق لصناعة مجرم... أو ضحية... وأنا ارتضيت هذا الطريق حين أقالوني من وظيفتي بالمعهد...

٣- ذكري زواج.

٤- الأفضل لنا الحصول على الطلاق. on doit mieux divorce

٥- أرجوك.je t'en supplie

الجزء الثاني

أول القصيدة كُفر... على عكس المذكور ب(بروشور) الأوتيل، لم نجد باحة انتظار سيارات، كان الشارع الضيق أيضًا موقع سكني لسفير ما؛ فلزم علينا صف السيارة في شارع ١٤ والتوجه إلى شارع ١١ سيرًا.

أحمد الله أن متعلقات نسرين لم تتعدى حقيبة المكياج الكبيرة والتي أعلم أنها دست بها سرًا قميص النوم البيج الذي اشترته من رحلتها الأخيرة لباريس ولم يتسن لي تجربة نزعه عنها بعد.

بينما لم تتخط متعلقاتي حبة ڤياجرا-وحيدة- أحتفظ بها في جيب المحفظة السري تحسبًا لأي فشل مُحتمل-في عمري هو أمر وارد ويحدث العديد من المرات- وواق ذكري وحيد أحتفظ به أيضًا تحسبًا لوقوع فاتنة ما تحب البيانو في طريقي بالصدفة، ولا أدَّعي الملائكية؛ فقد حدث ذلك أيضًا عددًا من المرات، (وللغرابة فلم يحدث أن استخدمت كلاهما سويًا أبدًا).

وصلنا في النهاية تسبقني نسرين بخطوتين، مرتدية تايرها الأبيض وإيشارب أحمر يحمي رأسها الجميل من عوامل الجو، ويترك الناس في غير فهم إن كانت محجبة... محجبة ترتدي تايير تحت الركبة!

كنت أراها فاتنة بهذا الزيّ تشبه فاتنات السينما الأوروبية الكلاسيكية،كانت تعلم و ارتدته كي أراها به؛ فهي تحاول بجهد-صدقًا- أن تحافظ على ما نتشاركه أو بقاياه

لم يكن الأوتيل أكثر من مجرد ڤيلا صغيرة ذات طابع أربعيني بخصائص الـ "آرت – ديكو" المعروفة،لم نرَ سوى عامل أسمر وحيد يدّعي كونه سفرجيًا نوبيًا، مستغلا سمرة بشرته بارتداء (القفطان والطربوش) و الترحيب منحنيًا مادًا ذراعيه كالأفلام القديمة.

يحاول أن يكون سفرجيًا أو اختلط الأمر عليهم حين انتقوا له هذا الـ "الزي الرسمي " فلم يعرفوا الفرق بين السفرجي والشماشرجي.

مدخل صغير لا يتعدى التسعة أمتار مربعة في أقصى عمقها باب على اليسار يؤدي للمطعم الذي لم يكن أكثر اتساعًا، تستطيع القول أننا نقف في أنتريه الفيلا وكان المطعم هو غرفة السفرة.

في الواجهة كانت غرفة أخرى مغلفة بباب خشبي ذو شبابيك زجاجية، من الواضح أنها الصالون أو جناح آخر للڤيلا،في اليمين كان سلم خشبي ضيق يؤدي للغرف بأعلى وأسفله مكتب صغير حيث جلس الموظف.
تحيات مقتضبة وتقديم كارت قسيمة الدفع الخاص بالحجز وقيود في دفتر كبير...لا كمبيوتر... لا طابعة والأكثر إدهاشًا، لا مفاتيح إلكترونية... مفتاح عتيق يشبه مفاتيح الحجرات القديمة، (بدأت أحب هذا المكان).

- إمام... ٤
لم ينطق موظف الاستقبال بأكثر من ذلك كان مقتضب باسم، نظرت له منتظرًا أن يقول أي شيء، أي مجاملة من المعتادة لـ (حُسن استقبال الضيف) لكنه لم يستجب، بعد دقيقة من الإحراج اضطر إلى قطع الصمت بأي حديث:

- ٤ دي مميزة جدًا... بتطل على البيسين والچاردان ومحدش بيكشف الڤاراندا بتاعتها أبدًا... هتنبسطوا معانا...
حسنًا، حصلت على ما كنت أنتظره.
صعدنا خلف (إمام) على السلالم الدائرية التي أصدرت عركًا خشبيًا متناغمًا، كنت على وشك التقاطه لاستنباط لحن لا أحسبه عشوائي للخطى، وسؤال يدور بخلدي:

-ليه إمام؟! كان لازم يسموه عبده!

كانت " ٤" هي الغرفة الثانية في صالة صغيرة تماثل السفلى حجمًا، تراصت في جوانبها ستة غرف.

فتح العامل الحجرة ودعانا بكفه مجددًا؛ فدعوتها للدخول كـ " رجل أنيق" ولحقت بها مجيبًا دعوته.

- شكرا يا عبده.
تلجلجت قليلًا... كانت جملتي عفوية لتكرار الاسم في مخيلتي إلا أنني استشعرت نوع من الإهانة بها واستخفاف بالرجل، بمهنة السفرجي وبكل من يسمون عبده...كدت أن أعتذر لكنه ضحك بالمقابل ردًا عليّ:

- كانوا مسميينى عبده قبل ما يسموني إمام...جزء من الديكور...يا رب ميسمونيش مرجان كمان كام شهر.

تباسطه في التعامل مع إهانتي الغير مقصودة شجعني على الحديث.
- أومال اسمك إيه؟
- محمد زكي... ٧٠٪ من الشعب اسمهم محمد يا باشا... الخزنة هنا تحت البوفيه... وفي غطا ومخدات زيادة في الدولاب...

قالها و هم بفتح أبواب (الڤراندا) العالية التي تناسب ارتفاع السقف...كان المنظر خلابًا بالداخل بقدر ما كان خلابًا بالخارج.

سرير كبير "كينج سايز" يعلوه "بانو" حائطي يشبه أولئك المنتشرين في القاعة السفلى وعلى حوائط السلم تتوسطه صورة امرأة شبه عارية مستلقية على فراش (يبدو أن الفندق يستخدم كـ " لوف دن"[٦] أحيانًا أيضًا)، ويحيطها أبليكتان نحاسيتين في كل منهما لمبة وحيدة تشبهان تينيك المتشرات أيضًا بالأسفل والخارج، في المقابل "سكرتاريا" صغيرة وبجانبها (بوفيه) يستخدم كخزينة و(ميني بار) رصت به زجاجات خمر قزمة، في الـ "ڤراندا" كرسي كبير

٦- love Deny - وكر الغرام.

وحيد "لوف سيت" مُطل على بركة صغيرة بديعة يدعون أنها الـ "بيسين" أي حمام السباحة المتعارف عليه.

- المكان هنا هادي جدا... وفيه خصوصية... القرندا مش كاشفة حد ومحدش كاشفها.

كان محمد يريني (البياضات)، حينما خرجت نسرين من الحمام، (توجهت إليه بمجرد دخولنا):

- مفيش "سشوار" في الحمام ؟!

- إزاي يا فندم... في (الكومبارتميون) تحت الحوض

قال "كومبارتيمون"[٧] بلكنة من حفظ الكلمة الفرنسية بالتكرار دونًا عن باقي اللغة و أجابته هي:

- متشكرة... يا إمام.

ركزت على نطق أحرف إمام (إمام) في تعبير منها عن ضيقها لتبادله الحديث معي ودخلت باحثة عن سشوارها بينما ابتسم هو نحوي ابتسامة (شفت... ما باليد حيله)، وألقمته أنا عشرون جنيهًا، نظر نحوها باستخفاف أيضًا قبل أن يخرج مناولًا إياي ظرف صغير من ورق أصفر فاخر ...فتحته لأجد به خطاب ترحيب مطبوع على ورق "برشمان" و ممهور بإمضاء يدوي بالفرنسية من مديرة الفندق (سيمون فلو جآر):

عزيزي/ تي : السيد سري.

إنه لمن دواعي سرورنا أن نحظى بإقامتكم لدينا، وكما تودون أن تجعلوا من إقامتكم وقتا طيبًا؛ فإننا نود لكم أن تكون تجربة فريدة أيضًا.

برجاء الأخذ في الاعتبار أن الاصوات العالية غير مُحبذة هنا كي تنعموا بالهدوء والسكين، كما أن حمام السباحة لا نُحبذ استخدامه ليلًا.

٧- compartiment خزانة /مقصورة.

ينتهي عمل خدمات الغرف والاستقبال في الثانية عشرة ليلًا، من فضلكم لاحظوا أن المفروشات هنا جميعها أصلية وتعد تُحفًا عتيقة نود أن نحافظ عليها لكل زوار المكان.

استمتعوا بمطعمنا الفاخر وقائمته الخاصة جدًا مع الانتباه إلى أن آخر موعد لتقديم العشاء هو الحادية عشرة مساء.

بالأصالة عن نفسي وباقي العاملين بفيلا كـــلافيير أكرر ترحيبنا بكم وسعادتنا بخدمتكم .

سيمون فلوجار

حسنًا... تحاول إدارة المكان أن تكون ودودة، إنما بشكل متكلف وغير عفوي على الإطلاق.

خرجت نسرين و قد نزعت الايشارب عن رأسها وفتحت الجزء العلوي من التاير مظهرة "توب" داخلي ضيق مفتوح جعلها تبدو أكثر إثارة وشباب، توجهت نحوي حيث جلست على طرف الفراش:

- ها إيه رأيك... "مانيفيك"[٨] مش كده؟!
- هو حلو...بس مجرد بانسيون
- اسمها اوتيل بوتيك... بنسيون دي للمشردين... أنت ليه بتستخف الحاجات الحلوه؟!
- أنا عمري سخفتك؟!

كانت تلك هي أقصى قدراتي في المغازلة، لم تكن تطلب هي أكثر من محاولتي لترضى.

٨- رائع

ابتسمت للمعنى الضمني في جملتي المعبرة عن جمالها واستندت على كتفي، دون وعي في حركة ميكانيكية مرت يدي على جيبي للتأكد من وجود صديقتي الزرقاء بمكانها... آمنة؟!

حسنًا...مِلت ناحيتها مقبلًا... خلال ثوان كانت قبلاتي أكثر عنفًا، شعرت بضيقها من جديتي في الأمر كأني أؤدي واجبًا؛ سيحرمها من ارتداء قميص النوم البيج.

- اهدى ...اهدى... مستعجل على ايه؟!

توقفت ونظرت نحوها فابتسمت مميلة رأسها إلى اليمين في تساؤل مغري، فقبلت المساحة المفتوحة من رقبتها قبل أن تقوم نحو (الميني بار) وتخرج زجاجة المياه لتشرب منها.

- تحب تتعشى تحت ولا نطلب العشا هنا ؟!
- أحب اللي تحبيه.
- تحت... خلّي المكان هنا من غير بهدلة.

وافقتها وتوجهت إلى الحمام، للاستحمام سريعًا قبل النزول لميعاد العشاء، لكن بالداخل و بينما أهُم بخلع ملابسي، كان صنبور المياه الغير محكم الإغلاق يسرب المياه ... لم تكن مجرد قطرات كانت زخات منتظمة على " تيمبو" واضح وكأنها رسالة شفرية أو نغمة فالس 0-00-0-00-0-00-0.

الجزء الثالث

لا يوجد الكثير لأحكيه... فقط عشاء غال ذو ثمن مبالغ فيه بموقع رومانسي لم نرَ فيه نزلاء للفندق سوانا على حمام السباحة، جعلنا على استعداد للخطوة القادمة.

انتقى لنا (إمام) شوربة البامبو وجوز الهند... هذه الشوربة تحديدًا صنعت لإرضاع الكوالا لا رجل خمسيني مبتذل، ولكننا قررنا مسايرته في الاختيار الذي أكد لنا أنه اختيار الشيف-الخاص جدًا- ما جعل نسرين توافق عليه دون تردد و تبعتها أنا.

مررنا في طريقنا بالجناح الأخر من المبنى حين اكتشفنا له بابًا على الحديقة، قاعة متصلة بباب صغير بالمدخل الرئيسي وبها سلم مشابه لسلم جناحنا الشخصي، كان المكان يبدو الانعكاس الهندسي للجناح حيث نقطن نحن، لا أعلم إلى أين يؤدي السلم؟! لكن بأسفله في المكان المقابل لمكتب الاستقبال في الناحية الأخرى، قبع بيانو "كوِنستلير" أفقي بني اللون بديع استرعى انتباهنا فالتفتت لي في غير تأكد.

- كوِنستلير قايم...هو كوِنستلير عملوا بيانوهات قايمه؟!... بُني وبإبليك شمع كمان!

اقتربت منه ممررًا يدي على جسده الخشبي الأملس اللامع، وشعرت بملمسه الرائع لم يكن ملمسه مشابهًا لأي شيء اختبرته يدي قبلًا، لا بيانو ولا أي شيء آخر.

سرت بجسدي قشعريرة لم تستطع نسرين أو أي امرأة أخرى أن تخلق مثلها في كياني...لم أفهم لذة التلامس قبلًا، كان التلامس بالشيء بالنسبة لي هو نوع من الاكتشاف، خطوة تُهيء لخطوة تالية، لكني شعرت بلذة حسية غير اعتيادية بمجرد تمرير أصابعي فوقه.

ملاسة جسده ،الحُليّ النحاسيّة، رف النوتة الصغير، البدالات اللامعة و اسم (كونستلر) يكلله شيء ما جميل، و مثير في هذه القطعة، انقدت كالمُنوَم مغناطيسيًا ويدي تتلمسه كجسد فتاة مراهقة بض، حتى أنني اقتربت منه بأنفي أتشممه؛ وددت لو أستند بخدي على جسده...فتحت فاهي كالأبله المشدوه و لساني يمتد لتذوق هذه التحفة...كنت مُستثارًا بحق نحو هذا الشيء.

- إدي...أعتقد إنه نسخة تقليد... أكيد copy معمول في الصين ولا كوريا... النمساويين لا يمكن يعملوا بيانو منزلي.

أخرجتني جملتها (وأحمد الله على ذلك) من الـ"mood" قبل أن أهم بخلع ملابسي ومضاجعة البيانو الجميل عوضًا عنها... لكن جملتها أصابتني بالضيق؛ هذا الجمال لا يمكن له أن يكون هجينًا أبدًا، اقتربت منه وفتحت غطاء أصابعه... وانهارت مشاعري وكأنها تكشف عورة هذا البديع...واستشعرت هي ردة فعلي تجاه الكونستلير فتوجهت أصابعها إلى بداية السلم الثاني (دو) كانت نغمة منضبطة الوتر في تمام دوزنة (سي)، بالتأكيد هذا البيانو ليس موضوعًا هنا مجرد قطعة ديكور، بدأت النغمة تقود لأخرى (فا. ري. مي. دو. سي) جملة صغيرة وجدت نفسي ساعتها منجذبًا للعازفة بقدر انجذابي للآلة،فجلست هي على البنش الصغير امامه و بدأت في العزف.

وليام روكجيشتاين...

مقطوعة ڤالس "الدمعة الأخيرة" لروك جاشتاين، كانت تصدح تحت أصابع نسرين مع ستار النافذة المتراقص، وأصابعي تتحرك رُغمًا عني في الهواء مع عزفها، وابتسامة أعلم تمامًا مدى اتساعها على وجهي وانتقلت العدوى إلى كامل ذراعي حتى صرت أقود أوركسترا وهمي..أو مهلًا..لم يكن وهميًا كنت أستمع إلى باقي الوتريات، صوت ڤيولا و كونترباص..هناك فلوت أيضًا..

نفخ ونقر ... أنا واهم... أم؟! أم هناك آلات أخرى تعزف معها؟

بدأت أنتبه مع سماعي لصوت جلبة بالأعلى لاحظتها من موقعي بأسفل السلم، شعرت بنشوتي تزول قبل أن تخفُت تمامًا فجأة مع صوت تصفيق يقطع العزف...

دخل موظف الاستقبال من الباب الواصل بين الجناحين:

- الله... الله...هايل يا مدام... إيه الجمال ده؟

انتبهنا نحن لكلماته إلا أن رد فعلها كان غريبًا... ربما لم تسمع الجلبة بأعلى فاستفاقت من نشوتها متأخرًا على صوت تصفيق الفتى، لكن ما إن نطق إلا وقامت كالمذعورة من فوق البنش، التصقت بي مبتسمة في توتر إلى المتحدث.

- البيانو ده نمساوي أصلي... تحفة نادرة من١٧٦٥... الشركة المنتجة عملاله شهادة وبيتابعوا صيانته والحفاظ عليه على حسابهم لقيمته...مالوش آخر... كونستلير معملوش بيانو رأسي غيره.
- فعلا كنا مستغربين الموضوع ده...
- علشان كده...أرجو من حضراتكم...رغم العزف الرائع طبعًا... بلاش نستخدم البيانو، ده كنز أصحاب المكان بيحافظوا عليه...الجناح ده كله مش بيستخدم علشان محدش يقرب للبيانو...ممكن نشوفه من بعيد بس.

اقترب من غطاء الأصابع وأخرج من جيبه العلوي منديلًا، مسح به الأصابع والغطاء ومن ثم أغلقه دون أن يلمسه من خلال المنديل.

- مدام سيمون مش هنا... يا ريت متعرفش عن المعزوفة الرائعة اللي الدكتورة عزفتها ع البيانو... على فكره فاضل ربع ساعة و العمال يمشوا، لو حضرتك احتجت حاجة ضروري أو في أي موقف اتصل على ٣٣... الأمن على الباب بره هيتصرفوا، هم الأفراد اللي بتبات بس.

ابتسمنا تجاهه في إحراج واضح ومررنا بالمساحة الضيقة عبره نحو باب الجناح حيث غرفتنا، على السلم سألتها هامسًا:

- اشمعنى روكجيشتاين اللي عزفتي له، طول عمرك بتقولي إن موسيقته عنيفة و مفتعلة!

- روكجيشتاين!من الواضح إنك نسيت و ودنك تقلت...أنا عزفت (فرانز شوبرت)، ودنك باظت يا دكتور...خليك أنت في (قضية عم أحمد، والبخيل وأنا).

قالتها بينما نعبر باب حجرتنا...

حسنًا، لقد أهانتني وعمر خيرت، فن الموسيقى التصويرية وكل محبي موسيقاه معًا...لكن ليس هذا ما يهمني...كان روكجيشتاين... أنا لست غبيًا، روكجيشتاين.

شعرت هي بخطئها الذي يهدد قميص النوم (البيج) فابتسمت بينما توجهت أنا للسرير قائلة:

- على كل حال... أنت على البيانو في روعة عمر خيرت...وبتعزف ع السرير زي ڤولڤ جانج أماديوس موزار.

قالتها بشكل تعبيري حاولت أن تطري به علي ودخلت الحمام مغلقة الأنوار في طريقها.

نظرت الى الساعة لأتأكد أن فترة كافية قد مرت منذ ازدردت الحبة الزرقاء، بدأت في خلع ملابسي ودسها تحت الفراش كي لا يبدو المكان فوضوي حين تظهر، انسللت تحت الشرشف الأبيض وحمدت الله على الظلام؛ ذهب زمن (البنشات) و صار لزامًا عليّ زيارة إحدى عيادات (التثدي عند الرجال).

في النهاية خرجت هي تاركة إضاءة الحمام تتخللها من الخلف، خالقة (سيلويت أفروديتي) بديع.

أشياء كثيرة تغيرت في نسرين ليس منها قوامها الفاتن، مرت بـ " أباچور" صغير فوق السكرتارية في طريقها، وأضاءته كي تظهر فتنتها في رداءها الليلي، لم أكن أستطيع تمييز القماش من لون جسدها؛ كانت تبدو كربة إغريقية متسربلة بالنور والأكاليل الذهبية والوردية، شعرها الكستنائي القصير يلتف في حلقات فوق كتفيها ونهدِها عاليًا يُعلن عن مقاومتهما الأبية للزمن، كانت جميلة بديعة... فاتنة ومغرية ...في جمال بيانو كوِنستلير بني رأسي.. تعجبت من الفكرة!، لكني شعرت بالإثارة مجددًا لمجرد فكرة البيانو تظهر في مخيلتي.

اقتربت مني وجلست إليّ على الفراش... تلمست أصابعي جسدها بحثًا عن أصابع البيانو، ومن ثم بدأ العزف.
أتذكر فيلم ل(تشارلز برونسون) حين مال على البطلة أمامه قائلًا بصوته الأجش:
«سوف أضاجعك ل٤٥(froty - five) دقيقة من الوقت».
«حسنًا أنا من النوع الذي يضاجع ٤ل٥ (four to five) دقائق من الوقت».
لكن أدعي أنها كانت الخمس دقائق الأفضل خلال العشرة أعوام الماضية... جدية.. حسية... عاطفية... استطعت أن أستشعر الرضى على وجهها،لم تشخص بناظريها بعد الجنس سابحة في الخيال منذ فترة كما لم تتناغم آهاتها بتلك الطريقة.

تستطيع معرفة إن كانت زوجتك تدعي الاستمتاع أو تستمتع حقًا معك بمعرفتك الخاصة لها، بالنسبة لنا كزوجين فحِين يغلُب على الجنس الرتابة؛ تغلب على أصواته التكرار الرتيب كصوت بندول الساعة، حين يكون حسيًا ممتعًا، تتصاعد و تنخفض أصواته كـكونشرتو ، يعلوا الكوريشيندو بالعازفين وتكون الآلات جُملها الموسيقية المتناغمة عوضًا عن أن تكون مملة موحدة.

الأيدي تعزف وتقود الموسيقى والأرجل تؤدي رقصاتها، الجنس عزف على آلات موسيقية شديدة الحساسية يتوجب على مستخدمها الترفق والعناية وحمل تقديرًا خاصًا لما يقوم به، إلا أن سري الصغير هو إني لم أمارس الجنس

معها...كنت أضاجعها بينما خيال قوي يدور بمخيلتي، أعرف بعض الرجال والنساء يمارسون الخيال الجنسي أثناء المضاجعة، ويتخيلون شركاء آخرين أو مواقف مختلفة ليبقوا على إثارتهم واستمتاعهم بمعزل عن شركائهم.
يوجهنا مستشاري العلاقات إلى خطأ الخيال الجنسي ويعتبروه نوع من أنواع (الاستمناء مع شريك عوضًا عن الاضطجاع معه)، لكن هذا لا يهم الغالبية العظمى من الناس على كل حال.

خيالي الذي أثارني لدرجة رضاها البادي كان بالبيانو...كنت أضاجع البيانو!

لا تسألوني كيف؟!

أي جزء منه لمسته وأي جزء منه سبرته؟! لا أعلم! لكنه كان حاضرًا بقوة.
كانت البسمة تعلو وجهها متطلعة لسقف الحجرة، اعتدلت لأُشعل سيجارة (مشهورة تلك السيجارة، ما أن أشعلها رشدي أباظة وشادية في فيلم الطريق إلا وصارت طقس جنسي أساسي عند كل مدَّعين الـ"رشدي أباظة") وقبل أن أستند بظهري إلى ظهر الفراش العالي حتى بدأ النقر...
جق... جق...جق... جق .

كان النقر متناغمًا بشكل قياسي مع صوت صنبور المياه المُنلفت في الحمام و الذي كنت قد اعتدت صوته سلفًا ... لكن دخول النقر الى المجال الصوتي أظهره.

نظرنا إلى أحدنا الأخر وفي رأسنا ذات التساؤل...

كان صوت أشبه باصطدام شيء ما بالحائط..نقر متواصل.. شاكوش..مطرقة..
أو ظهر سرير يصطدم بالحائط نتيجة حركة منتظمة ذات وتيرة متصاعدة.
جق... جق... جق ...جق.

بدأ الصوت يتسارع فغير مسار اللحن و إن لم يفقد اتساقه.

- إيه ده؟! تفتكري ؟!

جق .. جق .. جق .. جق .. جق.

انطلقت ضاحكة في هستيريا، من الواضح أننا لسنا الوحيدون هنا، أو لسنا الوحيدون اللذان أتيا بهدف إحياء الرومانسية..

جق جق جق جق جق جق جق جق جق...
شاركتها الضحك أنا الأخر.

- تفتكري هما كمان سمعونا؟!

ضربتني بكفها المتكور على صدري في لومٍ خجول.

- طب متطولوش بقى علشان ميبقاش شكلي وحش.

قلتها رافعًا صوتي مخاطبًا الغرباء ناقرًا بيدي على الحائط ضاحكًا، فضربتني مجددًا ضاحكة:

- بس يا أبيح.

ضحكت ولملمت روب ردائها الليلي، ارتدته متوجهة إلى الحمام بينما قمت إلى الشرفة لأُتم تدخين السيجارة سائرًا على أنغام "جق جق جق " و التي بدأت ألتقط منها نغمة متصلة ملفتة، حاولت استبيانها ... كانت... ملفتة... كانت نغمة لفالس روكجيشتاين ... أو هكذا اعتقدت.
لم أهتم كثيرًا بارتداء أي شيء؛ إن التعري لهو ممارسة ممتعة في حد ذاتها نادرين ، من يحظون بفرصة القيام بها.

على كلٍ أعلم كما أكد لي (إمام) أن أحدًا لن يراني من هنا... وإن كنت أشك في كلامه؛ فقد أكد أيضًا أن أحدًا لن يسمعنا هنا بينما الصوت انتقل بسهولة عبر حجرتنا وحجرة المضاجعان الآخران.

نفثت سيجارتي الثانية بشكل منتظم، كان مشهد الحديقة موحش مع طيران بومة ما من هنا لهناك كل لحظتين باحثة عن فأر يائس وحيد، إلا أن الإضاءة البادية في الأفق لشارع تسعة مع ما به من أماكن للسهر أصواتها تطالنا كـ صوت:

ووووششششش...

صوت طويل لا ينقطع كان يضفي لمسة سحرية على المشهد...سحر تكاد تسمعه كندفات الـ "جليتر" في أفلام الكارتون... تستشعر صوت البومة الناعق كنغمة مطولة من فاجورت:

آعغووووو...

يلازمها صوت صرصور الحقل كفلوت نافر:

سزسزسزسز...

وعزف منفرد لذكر ضفدع يبحث عن أنثاه:

ويبيت .. ويبيت ويبيت ... ويبيت ...

بجملة مستقلة مع رتم بين التباطؤ والتسارع لجيراننا...

جق جق جق جق جق جق

إنها ڤالس روكجيشتاين... البيانو يعزف الآن من سلم فا صغير... انتبهت بعد لحظة...كان العزف حقيقي... عزف متمرس لا يصدر إلا من عازف محترف، وأستاذة بيانو في الكونسرفاتوار.

قمت مسرعًا ملقيًا كعب سيجارتي من الشرفة... ما الذي يدعوها لتركي والنزول للعزف؟ أ لم يمنعنا الرجل؟! ألا تعرف أن الصوت سيصل لكل مكان في هذه الساعة المتأخرة الصامتة؟!

مررت بالغرفة باحثًا عنها كي أتأكد أنني لا أتخيل أو أظلمها، بينما أخر يعزف بأسفل...لم تكن هناك فعليًا فارتديت البنطال بسرعة ووضعت القميص دون زم أزراره متوجهًا لأسفل.

هممت بخفة على السلم متجاهلًا عرك الخشب وعبرت الباب بين الجناحين... ما إن فتحت الباب إلا وتوقف العزف.

كانت القاعة مظلمة إلا من إبليك نحاسي وحيد يضيء إضاءة خافتة مؤذية للعين... بينما الكوِنستلير العزيز يغط في نوم عميق... أين هي؟

فتحت الباب الواصل للحديقة و بحثت دونما الخروج... لم تكن هناك... دخلت مجددًا و سمعت صوتها (إدي... إدي) أتى هامسًا... كانت بالدور العلوي في جناح البيانو... كان المجال بأعلى معتم... ما الذي تفعله بالظلام؟!

صعدت مناديًا بهمس (نينا)...كانت أصوات الخشب هنا أعلى من سلم الجناح الأخر...عرك الخشب كان مؤذ فعليًا.
لم أكن أستطيع الرؤية إلا أن تيار هواء رقيق مر حولي... استدرت باحثا عن مصدره فشعرت بمرور شيء ما أمامي... كاد أن يُلامسني (نينا؟!) سألت متعجبًا لكن الشيء اختفى فكررت السؤال: (نينا؟!)
وشعرت بمخالب تهوي على كتفي الأيسر أصابتني بالهلع...

الجزء الرابع

استدرت مدافعًا؛ فوقع جسد على صدري جاثمًا كدت معه أن أسقط على ظهري هلعًا محاولًا دفعه عني وقد بدأت حشرجات الهلع تصدر عن فمي إلى أن نطق:

- إدي... أنت إدي؟!

لم يكن (العفريت) إلا نسرين التي كانت هلعة بدورها.

- إيه اللي جابك هنا...إيه اللي نزلك للبيانو أصلًا؟!
- أنا؟! أنا سمعتك من الحمام بتلعب عليه ملقيتكش في البلكونة، نزلت أدور عليك... لقيتك بتندهلي من هنا فوق...
- أنا اللي سمعتك بتلعبي عليه، و ملقيتكيش في الأوضة و..

ما هذا؟! لقد مررنا بذات الموقف وليس أيًا منا هو من عزف...

- ياللا بينا...

قررت جديًا أن أوقف الحديث المتسائل عند هذه النقطة فأنا لا أحب الخوض في غمار مناقشات عقيمة حول الماورائيات، أخذتها تحت ذراعي وهبطنا متجهين إلى القاعة لنعبر الباب إلى جناحنا مجددًا، مررنا بصوت السلم إلا أن السلم ذاته كان يتمايل مهتريء تحت أقدامنا تلك المرة وكأنه آيل للسقوط... ما الذي علَّه يحدث؟!

على الإضاءة الخافتة توجهنا إلى الباب الواصل بين الجناحين... كان مغلقًا، نظرت عبر الزجاج للبحث عن شخص ما بالناحية الأخرى فلم أجد.

- من الواضح إنه بيفتح من الناحية التانية بس... هنرجع من الجنينه بقى
تكلمت بصوتٍ خفيض، وكأني أرتكب جرم ما والتفت ناحيتها...لم تكن هناك وكان الباب إلى الحديقة مفتوحًا...

هممت خلفها، كانت تسير في خفة كمن يحاول التخفي بين الاشجار،ناديتها (نينا) أكثر من مرة دون إجابة...لحقت بها في النهاية وكانت قد صعدت... حين مررت بالباب الواصل بين الجناحين... كان مفتوحًا مجددًا، لما عادت إلى جناح الكونستلير؟! مددت رأسي من الباب متطلعًا مناديًا عليها... ليست هناك... هل صعدت للأعلى؟! كنت تائهًا و لأصادقكم القول كنت أخاف أن أذهب بحثًا عنها بأعلى جناح البيانو مجددًا... وقبل أن أعقد العزم على التوجه في أي جهة سمعت صوت الصرخة... لم تكن مدوية، كانت أقرب إلى فزع لحظي عوضًا عن كونه خوف من هجوم... لكنه كان آتيًا من الجناح حيث نقضي الليلة؛ هممت نحو حجرتنا متأكدًا أنه صوت زوجتي وطرقت الباب في عنفٍ و لم آبه لعلو صوتي:

- افتحي يا نسرين..

سمعت صوت مكتوم من خلف الباب كأن أشياء تقع فهممت بالطرق بشدة إلى أن أتاني صوتها:

- مين؟!

- هيكون مين... افتحي...
فتحت بما يسمح برؤيتها بعين واحدة، و ما إن رأتني إلا ومدت يدها ساحبة إياي بعنف، لم أكن أعتقد أبدًا أنها تستطيعه؛ حتى إنني كدت أن أقع على وجهي مع عبوري القسري للداخل.
اعتدلت ونظرت نحوها بينما نظرت هي نحوي... شيء ما كان مختلف.... لم تكن ترتدي تيرها بالأسفل... ما هذا؟!

كانت مرتدية قميص النوم... كيف تسنى لها النزول بتلك الملابس؟! وكيف بدلت ملابسها بتلك السرعة؟! أو أنها...

خلال تفحصي إياها متسائلًا ارتمت هي في حضني باكية.

- إدي... انت إدي... التاني مش أنت... هو شبهك بس مش انت...
- تاني مين... "كاسك اس باس"[9] إيه اللي بيحصل يا نينا؟

كانت تتهدج كقطة تشعر بالبرد وأرقدتها بالسرير مجددًا... و قالت متشنجة:

- أنا كنت لسه هاخد دوش سمعت صوت البيانو... طلعت أدور عليك... ملقيتكش... كنت تحت... في البيسين..عريان... بتغرق...اتخضيت ونزلت جري ألحقك.... ملقتكش... جريت على أوضة الأمن ع الباب وقعدت أخبط جامد بعدين لاقيتك فوق بتشاورلي من ڤرندة الأوضة... جريت أطلعلك.... دخلت الأوتيل كان في عزف على البيانو...افتكرتك نزلت تاني حاولت أفتح الباب بين الجناحين متفتحش...و سمعت صرختك... طلعت برضو ملقيتكش و بعدين خبط جامد ع الباب... وخبط من الأوضه اللي جنبنا موقفش لحظة.... لحد ما فتحتلك...إيه اللي بيحصل ده؟!

قالت باكية تلك المرة باديًا عليها خوف حقيقي.

- في حاجه مش تمام...لِمي حاجتك ويَلا بينا.

قبل أن أتم جملتي كانت تزُم أزرار تاييرها وتضب الأشياء الباقية في حقيبة يدها الكبيرة و أمسكت زراعي متوجهين لأسفل.
مع مرورنا بالدور السفلي كان البيانو يعزف من جديد.
فالس روكجيشتاين... نظرت إليّ في فزع.

9- qu'est-ce que s'est passe - ما الذي حدث؟

- روكجيشتاين ولا شوبرت؟

سألت في جدية تلك المرة... هناك شيء جدي حول موضوع اختلاف اللحن بين الأول والثاني.

طأطأت رأسها مجيبة في خوفٍ حقيقي:

-(روكجيشتاين)..

جذبتها عبر باب الهول إلى الحديقة حتى وصلنا للبوابة... كانت مغلقة إلكترونيًا، وبجانبها حجرة صغيرة للبواب والتي تحولت إلى حجرة الأمن.

طرقنا طرقات عديدة بلا جدوى... بدأت أنادي وأرفع عقيرتي... سبْبت ولعنت الدين والملّة وكل شيء في الوجود، ولم تعترض هي على كل أصواتي "الأنفية" و"الحلقية" بلا جدوى... استدرت لها في النهاية متعجبًا:

- احنا محبوسين هنا! على الأقل للصبح...خلاص تعالي نطلع الأوضه ومنخرجش منها للصبح...
- لا أنا هبات هنا في مكاني في الجِنينه...مش عايزه أدخل البانسيون تاني.
تلك هي المرأة... حين يصيب الولد يصبح ابنها، وحين يخطئ يصير ابنك أنت، حين كان شاعريًا دعته أوتيل بوتيك والآن هو بانسيون!
أخذتها تحت ذراعي وتوجهنا إلى منطقة الكافيتريا في الحديقة، حيث نطل على المسبح، ونرى أطراف حجرتنا غير كاشفين ما بها.

إضاءة ليلية معقولة بعكس المنظر من الأعلى وإن كانت الظلال حول الأشجار تعطي مشهدًا مرعبًا لعمالقة يحيطون بنا، وموسيقى فالس روكجيشتاين تصل آذاننا تشعرنا بمزيد من الخوف كموسيقى تصويرية في فيلم رعب مُبتذل.
جلسنا وأشعلت سيجارتين لي ولها، بدأنا نفكر في صمت...

- أنت بتصدق في العفاريت؟! أنا شفت عفريت يا إدي... عفريت كان عامل نفسه أنت!
- وأنا شفت عفريت كان عامل نفسه إنتِ... وبيلعب بيانو!

قاطعتني:

- روكجيشتاين...ماهو ده اللي خلاني أشك إنه أنت...علشان أنت افتكرتني بعزف روكجيشتاين.

صمتنا مُفكرين مجددًا نتطلع إلى وحدتنا في الحديقة الفسيحة مما ذكرني بأغرب الأشياء...

- "سيت ايه اترانج !"[10] ... إنتِ مش واخده بالك إننا اتعشينا لوحدنا؟! إن إمام هو اللي قدم لنا العشا... احنا مشفناش حد في الأوتيل...مفيش حد غيرنا في الأوتيل يا نينا.

صمتت تفكر قليلًا، و من ثم تذكرت وأخبرتني.

- الأوضة اللي جنبنا... الاتنين اللي كانوا "فيزيا لامور"[11]... في "كوبل" غيرنا.

ابتسمت ابتسامة أمل، و طرقت بيدي ذراع الكرسي هاما بالوقوف.. إنه قرار منطقي لحظي، عليّ زيارة جيراننا فالصحبة في موقفنا شيء محبب، لكنها أمسكت يدي:

- " چاميه" ... أنت رايح فين ؟ مش هنتحرك من هنا.
- لو في حد غيرنا هنا... يبقى يا هو اللي بيلاعبنا يا خايف زينا...الصح إننا نعرف هو مين؟!

10-c'est etrange- غريبة؟

11-faisaient l'amour- يمارسان الحب

طفقت تفكر قليلًا باحثة عما يؤكد سخافة فكرتي وحين لم تجد، اضطرت إلى موافقتي بشرط.

- طب منعديش ع الجناح التاني... ولا كإننا سامعين البيانو.

أمأت إليها موافق.. سرنا إلى باب الحديقة حيث تركت حقيبتها جانب البوابة ومن ثم استغلت يديها الشاغرة في التعلق بي أكثر، بهدوء وتجاهل للكوريشندو المُتبدل في المقطوعة، صعدنا إلى الدور العلوي وطرقت الباب بهدوء...

طق... طق... طق

جق... جق... جق

صوت الاصطدام جاء ردًا على طرقي بذات السكتة الصوتية...

طق... طق طق... طق

جق... جق جق... جق

حسنًا هو يتابع النغمة...

طق.. طق طق... .. طق.. طق طق

جق.. جق جق..... جق... جق جق

حسنًا الأمر جليًا.... هناك من بالداخل، ويلاعبنا.

هممت بالطرق مجددًا، فقالت لي جزعة مستنكرة:

-احنا هنلعب؟!

فاشرت لها بالانتظار... ومن ثم بدأت الطرق برتم أصعب مستخدمًا أصابع شتى لخلق نوت موسيقية عالية ومنخفضة...هذه المرة لم يتبعني، بل تماشى معها لنكون معزوفة نقرية متناغمة...كانت النقرات بداية معروفة...أجزاء من الثانية تفصلنا عن بداية اللحن الأصلي جعلتنا نتبادل النظرات منتظرين ما سيحدث.

بالفعل و بمنتهى التناسق الأوركسترالي بدأ العزف.. القالس الكبير..صرخنا في نفس واحد.

- شتراوس!

مع صرختنا توقفنا عن النقر كما توقف الآخر خلف الباب.
انفرج الباب بصوت أزيز خافت قرابة العشرة سنتيمترات.
مددت يدي نحوها داعيًا إياها للدخول.

- لي دام دابور...[١٢]
- نعم؟ مبتعرفش أنت في الإتيكيت إلا في الـ...

نظرت إليها متعجبًا... بالقطع ليس وقت جدالنا العقيم... و أزحت الباب قليلًا؛ أتيح لذاتي مجالًا للعبور.
دخلنا الحجرة...كانت مظلمة يأتيها ضوء هاديء خافت من جهة القراندا...

- مساء... الخير...هااي...

لا مجيب... توغلنا أكثر في الحجرة، كانت تشبه حجرتنا لحد كبير... فتحت نسرين الإضاءة كي تزيل عنها التوتر... وبدأنا نفتح الأدراج وباب الحمام والدولاب؛ باحثين عن أثر لمن يقيمون جوارنا، كانت الغرفة خالية من أي أثر لمقيم...
نظرنا تجاه أحدنا الآخر ومن ثم جرت هي ناحية الباب تغلقه من الداخل بالمفتاح، وتوجهت بدوري ناحية التليفون...اتصلت بالرقم ٣٣ لمحاولة إيقاظ الأمن دون جدوى...

- مبيردوش "ال..."
- ايدي...

١٢- السيدات اولا.

قالت في نفاذ صبر بينما حاولت ضغط أزرار متعددة، باحثًا عن مفتاح الخط لطلب النجدة أو أيًا من كان بالخارج دون جدوى وعندها تذكرت... هاتفي... لم يكن في جيبي... بالتأكيد وقع أثناء دسي للملابس تحت فراش حجرتنا...

- تليفونك... ازاي مجاش في بالنا... تليفونك!

نظرت إليّ في ضيقٍ ويأس حقيقي:

- في الشنطه تحت...

قمت كالملسوع وسحبتها متجهين نحو الخارج... سنهبط تتصل بالنجدة، وما إن همْمنا بفتح الباب للخروج إلا ودُفع في وجهي مسقطًا إياي أرضًا!
قمت في تثاقل بينما كانت هي قد قفزت كلاعبي ألعاب القوى من الباب نحو الفراش معتلية إياه في حركة واحدة.
كان الدم يسيل من أنفي بغزارة و لم أجد ما أمسحه به سوى كُم قميصي؛ فصار الدم يغطي زراعي وصدري المفتوح، مع سقوطي توقفت الموسيقى بالأسفل تمامًا..

حاولت فتح الباب فطاوعني تلك المرة ببساطة ودنت هي مني، هممنا بالنزول إلى الطابق السفلي.

لما بدأت الإضاءة بالتذبذب؟ أم هو فقط شعوري بالدوار؟! لا أعلم.
ما إن هبطنا إلا وأخذت الإضاءة بالخفوت، خفوت متدرج مسرحي وكأنها تسحب من مجال رؤيتنا، حينما وصلنا للباب كان مغلقًا، مددت يدي لفتحه فحدث كما حدث بالأعلى إلا أن الإصابة طالت عيوني بنزيف مستمر أقوى من السابق، كان دفع الباب لي أقوى تلك المرة ؛ حتى أنه ألقاني حرفيًا على بُعد قرابة النصف متر إلى الخلف، بدأ العزف مجددًا إلا أن الموسيقى بدأت حماسية تلك المرة من مقطوعة روك جاشتاين السابقة... مع انقطاع النور تمامًا.

صرخت نسرين وجَرت نحوي مستعينة بالتوجيه الذاتي حتى صارت فوق رأسي...كنت شبه غائب عن الوعيّ إلا أنني تحاملت وقمت مجددًا.

الإضاءة تصلنا خافتة من إبليك قاعة البيانو وكأن الإضاءة تقودنا إلى قاعته... تبادلنا النظرات ولم نجد بُدًا من التوجه إلى القاعة حيث الكونستلير ينادينا..

دخلنا القاعة معلقان أحدنا بالآخر، وأنا أشبه الموتى الأحياء بعين متورمة وأنف مدمى، كانت الإضاءة تبدو كالمُسلطة على البيانو، غطاء المفاتيح مفتوح و على الرف فُتحت نوتة كأنه يدعو أحدًا ما للعزف عليه، صوت قعقعة خفيف يأتي من مؤخرة القاعة... قعقعة كرسي هزاز متناسقة مع تكات بندول الساعة الكبيرة معطية رتم معقول لثالس الفصول الأربعة.

نظرنا للعمق فرأينا ساقين تظهر وتختفي من محيط الإضاءة على الكرسي، بينما باقي الجسد متواريًا في الظلام... ربلتين بيضاوتين وطرف جيب أسود على الركبة وحذاء مقفول ذو كعب متوسط الطول، قامت في النهاية فاردة قامتها فظهرت لنا جلية بتييرها الأسود القاتم و الـ "بيفيت" الأبيض الكثيف مع شعر أشقر معقوف (كحكة) وأنف كالمنقار، كانت جميلة لا أنكر... في جمال (أنچلينا چولي) في دور ماليفيسنت.

- "چه ڤو بريزاتيه موا ميم"[١٣] ... سيمون فلوجار

ظللنا صامتين لا نعلم إن كان علينا تحيتها والارتماء في ذراعيها لتحمينا من (العو)؟! أو العدو منها لأنها (العو) ذاته؟!

- " اي اوسي جه فودريه بريزانتيه لو مانيفيك (كونستلر مارون سي ميل ست سون سواسونت سانك)
توجهت أبصارنا للبيانو موديل سي ١٧٦٥.

لا إراديًا، خطونا للخلف ملتصقين بالحائط عنها وعن البيانو...

١٣- أقدم لكم نفسي.

تقدمت إليه تمر بيديها فوقه، وكأنها تداعبه:

- كان مِلك وليم روكجيشتاين بنفسه... وكتب عليه "اينيجه لآتستن ترآنه"[١٤]... و لما مات، مات فوقه... اللحن ده محدش كمِله أبدًا... بيتعزف ناقص دايمًا... لحن بديع.

قالتها في رقة حالمة لم تُعقها فيها لكنتها الفرنسية وصعوبة نطق الـ ع

- بس ناقص... مئات حاولوا يكملوا على نهج روكجيشتاين... و معرفوش... بس البيانو بتاعه بينقي اللي ممكن يكمل... هم بييجوا زيكوا كده... بيختبرهم ولو نجحوا... بيديهم فرصة يكملوا "اينيجه لآستن ترآنه".

- إنتِ اللي عملتي المسرحية دي كلها؟

- أنا معملتش حاجه... أنا في أوضتي من ساعة ما إنتوا جيتوا... لو كنتوا فشِلتوا في الاختبار... كنتوا هتباتوا عادي وتمشوا... بس لما عزفتوا عليه وهو كملكوا النوت...تبقوا نجحتوا... ولازم تكملوا الامتحان... تكتبوا باقي اللحن.

نظرت نحو نسرين لائمًا... لماذا كان عليكِ أن تعزفي عليه؟! مقت الموسيقى، روكجيشتاين وكونستلير لثوان قبل أن أدير عيني إليه... وقعت في حبه من جديد... لكني أخرجت ذاتي من غفوتها.

- سوري...عرضك مرفوض وإن مخرجتيناش من هنا هوديكِ في ستين داهية... شوفيلك شيخ بتاع تحضير أرواح يخرج عفريتك وخرجينا من هنا.
- بس أنا فعلًا في ستين داهية...

بدون اكتراث مدت يديها إلى الرف بأعلى المِدفأة الحجرية، سحبت جريدة قديمة ومدت بها يدها إلينا.

- أنا محبوسة هنا زيكوا بالظبط...

١٤- دمعة أخيرة

كانت الجريدة بين يدينا... أشارت بأصابعها الملتوية وكأنها تعرضت للكسر سابقًا إلى عنوان جانبي:

"مازال البحث جاريًا عن مدام فلوجار... السلطات المصرية والفرنسية تتعاونان في البحث عن أستاذة الموسيقى الكلاسيكية...أربعة أشهر منذ اختفائها..."

- أنا جيت هنا ورا البيانو ده... المدير اللي قبلي "هير شتاينڤاي" هو اللي حكالي الحكاية.. البيانو ده جه مصر من بلده متباع هدية للبيت ده، من مقتنيات روك جاشتاين ... فضل هنا في المقر الشتوي للدوقة "برثا رورتشماير"... هي ماتت هنا و اتحول لأوتيل... الأوتيل من أملاك ورثة رورتشماير، كان مقصد لدارسي تاريخ الفن و الموسيقيين علشان البيانو ده..." دس روكجيشتاين كلافيير (بيانو روكجيشتاين)" هو القطعة الفنية الأميز هنا... البيانو... مسكون.

ارتفع حاجبينا... كانت نسرين في وضع نفسي يسمح لها بتصديق أي شيء... بينما أسايرها لإصراري على عدم الخوض في الأحاديث الماورائية ... تصدق أن هناك عفريت... إذًا فلتأت بمجذوبٍ من مجاذيب الموالد لإخراجه ... نحن لن نخرج العفريت الموسيقي.

- لما جيت هنا "شتاينفاي " قال لي الحقيقة زي ما بقولهالكوا دلوقتي... كل ضيوف المكان كانوا موسيقيين تم اختيارهم بعناية لإتمام (دمعة أخيرة) محدش نجح... في اللي اتعاقبوا بالحبس هنا للأبد...وفي اللي اتعاقبوا عقاب أشد...

- وعمال الأوتيل...عفاريت كمان؟

حسنًا إذا تبين أن إمام (عفريت)، فأنا أريد العشرون جنيهًا خاصتي! عمال الأوتيل ميعرفوش حاجه... واللي بيعرف أو بنحاول نقوله أو نبعت معاه استغاثة للي بره، بيخرج و مبيرجعش...

- أنا عايزة أروح.

لو لقيتي وسيلة...خديني معاكِ.

ابتسمت في سخرية وجلست على الكرسي الهزاز مرة أخرى:

- يعني احنا مطالبين بإتمام (اينيجه لاستن ترين) يا ننجح يا نتحبس هنا.

أومأت برأسها موافقة.

- ولو رفضنا التحدي؟

- البيانو مش هيحاول يقنعكم كتير... كل الألعاب دي حصلت علشان تنزلوا هنا ... هو سابكم تنبسطوا ...جه الوقت إنكم تبسطوه.

غمزت لنا بعينيها... (إذًا كانت تتجسس علينا أو ربما كانت أصواتنا أعلى من اللازم)، قامت عن مجلسها وأخرجت من خلف الباب تشيللو ضخم، من ثم اعتدلت على طرف الكرسي مجددًا...

- إنتوا حاليًا محبوسين في القاعة هنا...الخروج منها مرهون بالعزف...ها نبدأ نجرب؟! مين اللي عزف قبل كده؟!

في خوف واضح توارت نسرين خلفي لكنها ابتسمت:

- حضرتك أستاذة الوتريات...عزفتي عليه قبل كده... شوبرت على ما أعتقد؟!

للحظة نسيت ارتعابها واستيقظت بداخلها شخصية أستاذ الموسيقى:

- شوفت...شوفت... أنا عارفه أنا...

انتبهت إلى أنها أثبتت كونها العازفة، فنظرت إلى سيمون فلوجار مجددًا؛ فشجعتها الأخيرة مادة يدها لدعوتها للجلوس على البنش.

فتقدمت خطوة من البيانو عارضتها أنا بإمساك كفها

- نينا...مفيش حاجة تجبرك على كده... القصة كلها تخاريف...احنا نطلع ننام وبكره الصبح لما...

قاطعتني رابتة على كفي:

- لو بجد يبقى مفيش حل غير كده... ولو تخريف...يبقى مش هنخسر حاجة!

توجهت تملأ ذاتها بثقة الأستاذة المتمرسة وجلست إلى البيانو وأخذت نفسًا عميقًا ونظرت إلى سيمون التي أعدت القوس في وضعية العزف، نظرت إليها نسرين معطية إشارة البدء، بدأت سيمون التقديم اللحن بسحبة قوس طويلة من سي، وضعت نسرين كامل أصابعها إلى المفاتيح رافعة خنصريها مستعدة للبدء بعد فا، أطالت سيمون الفا حتى تبدأ نسرين.

الجزء الخامس

قلقلت نسرين مفتاح الفا ومنه إلى الري... عادت إلى الفا لتقلقل كلاهما متوازنة مع عزف سيمون... عند انتقالها الى المفتاح التالي،
سقط غطاء البيانو فجأة على كامل يد نسرين، مُصدرًا دويّ مُرعب بضغط جميع المفاتيح مرة واحدة...صرخة نسرين كانت كصوت سوبرانو محترفة أدت موجاته لتكسر جميع زجاج النوافذ وباب القاعة...
كالمذعور، هرعت من مكاني على بعد خطوة منها وفتحت الغطاء ساحبًا يديها.
تركت هي ذاتها لي... كانت جميع أصابعها مكسورة البراجم مدماة الأنامل...
نظرت إليها فزعًا ...على يد زوجتي الرقيقة بينما صرخت هي صرخة أخرى تنعي فيها مستقبلها كبيانيست محترف... ألم مزدوج بين النفسي والجسدي... صرخت معه تكرارًا:

- إيدي... إدي يا ادي.
- نينا... نينا....بس انت كويسه متخافيش ... بتوجعك؟ نينا... بصيلي.

أدرت عيوني بينها وبين سيمون التي تركت التشيلو يسقط، ورفعت كفيها لا أعلم إن كانت تنظر نحوهما لتتذكر ما حدث ليديها هي الأخرى؟! أم تريني أنها مرت بذات العقاب سلفًا؟!

قامت واقفة أمام التشيلو الجاثم كالجثة بنظرة يملؤها اليأس والغضب، قبل أن تركله بعنف، عيونها يملؤها الغضب ومن ثم مدت يدها إلى رأسها وسحبت شريط أسود الذي ربطت به شعرها، أتت به نحونا مائلة على نسرين التي انسحب الدم من يديها وفقدت القدرة على التحكم في أعصابها.

أزاحتني بكتفها، أمسكت كلا كفيّ نسرين و بدأت في لف الشريط الأسود

حول الأصابع؛ وكأنها تغزلها فيه أو تمررها في نول بدائي بين كل زوجين من الأصابع لتبقي كفيّ زوجتي مقيدان إلى أحدهما الآخر، في وضع أشبه بكفيّن يتضرعان.

قمت وعقلي فاقد القدرة على التفكير لكن عيوني مرت بباب القاعة الذي سقط زجاجِه... لم أفكر كثيرًا... هرعت ساحبًا نسرين وحملتها دافعا سيمون أرضًا وهرعت بزوجتي نحو الباب... مددت يدي عبر حطام الزجاج وفتحت الباب من الناحية العكسية ، عبرته جاريًا بزوجتي عبر السلم إلى أعلى...
فتحت الباب وعبرت بها إلى الحمام، تركتها هناك بينما صوت خطوات سيمون على السلم تصل إلينا رجعت وأغلقت الباب من الداخل، عدت الى نسرين و سحبتها من يديها إلى الحوض حيث فتحت صنبور المياه الباردة علّها تحد من ألم أصابعها.
على الباب أخذت سيمون تطرق الباب:

- البيانو غضبان... هي بدأت غلط...افتح.

كانت نسرين فاقدة النطق تمامًا تاركة كل شيء بيدي، أعلم أنها تفكر الآن في أفكار متضاربة حول الخروج ومستقبلها كعازفة... نظرت جهة صوت الطرقات التي علت.

- افتحوا...هيعاقبني أنا... افتحوا...أرجوكم

صرخت سيمون أثناء الطرق... دون أن يحن قلبي لمن قدمتنا كقربان للبيانو خاصتها، ولا أعلم لما مر ببالي سيزاريو الإيطالي عازف البيانولا متمنيًا لو كان في وضعنا الحالي.

علت الصرخات قليلًا و من ثم صمتت الأصوات فجأة لثوان... على صوت انهمار المياة فوق أصابع نسرين بعد ان صمت كل شيء حولنا وبدت هي كمن يستعيد وعيه. ثوان قبل أن يبدأ العزف... بدأ من الفا المقلقلة على البيانو...

نظرت نحوي في جدية:

- هتحاول تكمله... هتحاول تكمل دموع روك جاشتاين...

استمرت بالعزف... و بدأنا نستشعر قليلا من الأمان مع استمرار العزف ولا نعلم هل هو شعور الهدوء الذي تخلقه الموسيقى في مجالها أم الاطمئنان أحدًا آخر يعزف غيرنا ...وبدأت الموجودات حولنا تستجيب أيضًا... تقطع انهمار المياه متخذًا رتم ثابت... اشتركت الإضاءة بالتأثر بالعزف....صوت البومة السابحة في فضاء الحديقة صرصور الحقل، و الضفدع... تشارك الجميع في عزف الكونشيرتو.... أصوات فاجورت وفلوت ... أيضًا بدأت.

كانت الدنيا تدور بنا أثناء الاستماع للعزف مدركين أن اللحن الأصلي قارب على الانتهاء... وقبل أن ينتهي، أتانا صوت ضامة الموسيقى، كان الطامة الكبرى المنبئة بضغط جميع أصابع البيانو دفعة واحدة تشق عنان السماء مصحوبة بصرخة مكتومة من سيمون بالأسفل.

قمت وقامت معي، حاولت أن أحل الرباط من حول أصابعها الذي ربط كفيها ببعضهما البعض في وضع التضرع لكنها أشارت برأسها أن لا.

تصرفت سيمون تصرف جيد في الحفاظ على أصابعها من الألم والتشوه ربما داعمة كل إصبع بالآخر...

- تفتكري حصلها إيه؟

أومأت برأسها رافعة كتفيها أنها لا تعلم.

- ننزل نشوفها؟! هي البني آدم الوحيد هنا...هي ساعدتك.

ربما شعورها بالذنب تجاه سيمون الذي اشتركت فيه معي بعد أن تركناها بالخارج تواجه مصيرها هو ما دفعها للإيماء موافقة.

تقدمت عنها وسارت هي خلفي ملتصقة بظهري وتوجهنا لاسفل مررنا بالباب الفاصل بين القاعتين...لم يكن هناك أثرًا لسيمون لكن أصابع البيانو كانت مُغطاة بدماء ربما يعود بعضها لسيمون عدا عن دماء زوجتي... تبادلنا النظرات ودون كلمات اقتربت من البيانو مخاطبًا إياه:

- احنا مقولناش إننا نعرف نكمل روكجيشتاين... بص... هدنة... احنا طالبين هدنة.

اقتربت منه وأغلقت غطاء المفاتيح بتأني فأبى الحركة، لكن زوجتي توجهت نحو التشيلو قالت:

- هدنة... هدنة.

أمسكت بالقوس وأشارت نحوي:

- هدنة "لوران بوڤييه".

فهمت ما تقوله؛ فتوجهت إليها ممسكًا القوس وعزفت نغمات مقطوعة هدنة... صدرت النغمات مشوهة الصوت إنما واضحة المعنى والدليل، وكأنه فهم مقصدنا أو أنه لا يتحدث سوى لغة الموسيقى، انغلق بهدوء غطاء المفاتيح، كدنا نتنفس الصعداء إلا أن إضاءة الدور الأعلى والإبليك على السلم قد أضاء...البيانو يطردنا أو يدعونا للصعود لأعلى، تبادلنا النظرات ومن ثم بدأت الخطو نحو السلالم وعادت هي للالتصاق بي كطفل يحتمي بوالده. صعدنا نؤخر اللقاء كان السلم يتمايل بنا كما فعل مسبقًا... حسنًا هو ينبئنا بتكرار التجربة...في النهاية صرنا في منتصف المسافة بين الغرف... أول مرة أراها مضيئة... الحوائط مدهونة بالأزرق الزاهي بينما البانوهات مذهبة تمامًا وفي النهاية بين الغرف الست كان كرسي الهزاز يتمايل وفوقه سيمون... بأسنانها كانت تحاول ربط شريط بشكل مماثل لما ربطته بيدي زوجتي، والدموع تنهمر من عينيها.

ما إن رأتها نسرين إلا و نظرت نحوها ألمًا، وكزتني قبل أن أستدير، تومىء لي ناحيتها ففهمت وهممت أساعدها على ربط الشريط بذات الطريقة.

- "چه سوي ديزوليه.... ايل بانس ديبوندامون ايه فيه سي كيل فيو"[15]....
- عارف... عارف... بس... مش فاهم.
- أنا زهقت... محبوسة هنا و عايزه ارجع.... أنا مش عارفة أكمله... ولا حد بيعرف... أنا تعبت...
- مين اللي كان في الأوضة اللي في ضهرنا مدام فلوجار؟!
- دول "البانيارد"[16]، اللي مكملوش اللحن زي الدكتورة... محبوسين... محدش بيحس بيهم غير اللي محطوطين في امتحان زيهم..." سورتي... ايل ساف"[17] أخبرتهم أن بإمكانكم الخروج.

توقعت أن أرى بعض الزومبيز... لكنهم كانوا أناسا عاديين... موسيقيين مثلي وزوجتي المصابة أصابهم الوهن والفزع... بعضهم أصابعه قد التوت تمامًا في تشوه لا يمكن تعديله وبعضهم أصيب بإعاقات بسيطة مثل فلوجار واستطعت تمييز عازفة فيولا مصرية معتزلة بينهم، أعتقد أنني أستطيع تحديد عدد مرات المحاولة من قدر التشوه البادي على يد كل منهم.

- أقدم لكم مدام ومسيو سري.

حيونا برؤوسهم، وأتممت فلوجار.

- معانا هنا بيتر هاوزمير... رشاد فغالي... نادية كريم... بلافيا بريشنكو...

15- أنا اسفة انه يفكرانه يفك بشكل مستقل ويفعل كما يتراءي له.

16- المحبوسين.

17- اخرجوا هم يعرفون.

فرانز نوردينسكي... كلهم أساتذة وكتاب موسيقيين وعازفين محترفين...

- بس حضرتك عازفة فيولا

قلت مخاطبًا نادية.

- ومدام فلوجار عازفة تشيلو أعتقد...الكل هنا وتريات.

رفع فغالي يده قائلًا: نفخ...
بينما ترجمت سيمون السؤال قال فرانز:

"سوليست فلوت"، وقال هاوزماير: "فاجورت".
حسنًا... الجميع موسيقين لكن ليسوا جميعًا عازفي بيانو أو تريات حتى.

- أومال مين عازف بيانو؟!

لم يجب أحدهم.

- عازفي البيانو فين يا مدام فلوجار؟

طفقت تنظر أرضًا بينما نظر الجميع ناحية نسرين مشفقين وقد أصابها الهلع:

- يعني إيه عازفي البيانو بيروحوا فين؟!
- بيلعبوا بيانو يا مدام سري... بيلعبوا بيانو...

دقت ساعة البندول الكبيرة دقة واحدة أخرجتنا من محاولة التفكير في الوضع ومن ثم بدأ عزف الطبيعة من جديد، صوت البومة أتى صادحًا من الخارج قبل أن تنطفيء الأنوار فجأة.
صرخت فلوجار:

- مسيو سري... امسكها... امسكها قبل ما تنزل...

شعرت بالهرج فجأة... اصطدم بي أكثر من جسد ورأيت الظلال بين العتمة الشديدة...مع صوت عريك الخشب المنبئ أن أحدهم يخطو السلم... سمعته فلوجار كما سمعته أنا فأتمت جملتها:

- هيسحبها على تحت... دايمًا بيسحب المختبر على تحت بطريقته يلعب ويلعب ويلعب... كل مرة يجرب يتعاقب... لحد ما يموت...

لم أتم سماع جملتها...خففت إلى السلم الدائري أتقافز درجاته أزواجًا كي ألحق بها...لكن السلالم لم تنتهِ...استمريت في الهبوط ستة دوائر كاملة دون نهاية... النور يظهر من الأسفل... مازال أمامي طابقين بعد، كي أصل إلى قرار السلم الذي استطال تحت الأرض.

الجزء السادس

في النهاية وصلت كنت في ذات قاعة البيانو التي اتخذت أبعادًا مختلفة... اتسعت القاعة وامتلأت بانوهات الحائط الخاوية بلوحات كلاسيكية عدة،بورتريهات شخصية ولوحات تُماثل الطبيعة وتلعب على الظل والنور

انبسط على الأرض سجاد حريري يغطي بقع من الباركيه المنمق وفي منتصف القاعة كان البيانو موضوعًا في بقعة الضوء الرئيسية، وأعلاه شمعة بيضاء متراقصة في شمعدان أحادي، خلت أني أرى من يجلس إلى البيانو، لم يكن شخصًا...كان شبح أكثر منه شخص، مرتديًا قلنسوة طويلة بنية اللون، بنطلون بانتكور رمادي مزمم تحت ركبتيه بأسفله جوارب بيضاء معتمة، وحذاء ذو كعب عريض وضعت على البيدال.

من خلف شعره الطويل استدار نحوي وكأنه يرى من خلالي عوضًا عن رؤيتي فظهرت ملامحه الحادة وذقنه الغير حليقة...كان وجهه مبتقعًا كجثة، مبقعًا كخرقة بالية...رفع كفه الأيمن ذو الأصابع الطويلة المعوجة تمامًا، من ثم رفع اليسرى وشبكهما قبل أن يقرعهما فتستحيل معتدلة من جديد مع صرخة تشنج، بصوت مبحوح ونغمة بها كثيرًا من جنون العظمة نطق:

- "اينين لاتستن مال فيير اينجه لاتستن تراينه... دراي تسفاي ...اوند"[١٨].

بدأ العزف برتم ثابت على البيانو... ڤالس (روكجيشتاين) الدمعة الأخيرة...كان الرجل هو ذاته (روكجيشتاين) يعزف آخر ما ألفه.
طفقت أشاهد مشدوهًا و مبهورًا بالعزف المتقن، مع استمراره بالعزف وجدت الكوِنستلير الجميل يزداد لمعانًا وإشراقًا... صارت حدوده الحجمية أكثر نعومة...جسده الخشبي أكثر ليونة... رأيت الكوِنستلير أنثى كاملة الأنوثة،

١٨- مرة أخيرة الدمعة الاخيرة ثلاثة اثنان و..

يداعب هذا الدب جسدها في وحشية وتتغنج هي بين الألم واللذة بين يديه... كان صوت العزف أشبه بصوت فتاة تفقد عذريتها مع وحش شبق يمتعها بقدر ما يؤلمها.

وددت أن أقترب من تلك الأنثى حبيسة البيانو، أشارك في تلك الوجبة الشبقة، أنال من الجسد أيضًا وكأنني مُنوَّم مغناطيسيًا.

خلعت عن جسدي القميص المدمى ومررت بيدي على صفحة البيانو البنية المُغرية ووجهي يقترب من رف النوتة، كان (روكجيشتاين يضحك كقواد يقدم مومس محترفة لزبون ساذج ألا وهو أنا، دون وعيٍ مني اقتربت يدي من لوحة المفاتيح... ونقرت دو... لم تكن شاذة عن اللحن... فدو أخرى... فثالثة... برتم ثابت متمم لنغماته، ظللت أردد الدو في نشوة شبقة استشعرها بكل جسدي لم أستشعر مثيلتها بين أحضان أشد النساء جمالاً...

لم أصدف نفرًا ولا انتصابًا لأطرافي كهذا قبلًا.

دعته نشوتي أن يمد يسراه ليجذبني للجلوس... كنت مُنتشيا... جلست وانتشيت بما أسمع وأعزف... كنت أعزف بيمناي إتمامًا لما يعزفه هو بيمناه بينما زراعه ملتف حول كتفي كصديقين مخمورين يعزفان في حانة، لكني كنت أدرك أن ما كتبه (روكجيشتاين) على وشك الانتهاء... سنصل إلى النهاية المميتة لروك جاشتاين... من لا مكان رأيت امرأة بدينة تقترب منا..لكن نشوتي ترتفع...

اقتربت حتى صارت خلف روكجيشتاين تمامًا ...

أنا... أنا سوف... أنا في قمة الشبق.

و دون اكتراث نظرت نحوي بأسنان نخرة و شعر أشعث...

لا يمكن أن يكون هذا حقيقة ما يحدث، أنا على وشك الوصول لقمة المتعة...

يدي تدق الدو في رعشة تماثل هزة الجماع!

ابتسمت بعنف يملأ عينيها و طعنة المسكين الغير مكترث...

و لا أنا مكترث... دقتان أخرتان... سوف... سوف... اااهههه.

الجزء السابع

بالنسبة لرجل في سني، فالاحتلام شيء نادر الحدوث، بالنسبة لما أمر به الآن... فالوصول للشبق عوضًا عن الوصول إليه دون شريك حسي لهو أمر مستحيل.

كنت مُلقى على الأرض أسفل أرجل البيانو... غارقًا في سوائلي الحيوية المتعددة من عرقٍ،دماء و مَنيّ، وكل ذرة في جسدي تشعر بالإجهاد، كل بقية باقية من وعي تلومني على انجرافي في هذا الجنون عوضًا عن البحث عن زوجتي التي ستواجه موتًا محتمًا في أية لحظة.

أنارت القاعة من جديد كانت بحجمها الطبيعي، رأيت باقي أعضاء الكونشيرتو ومعهم زوجتي ينظرون إليّ من أعلى درجات السلم.

حاولت الاستقامة من وضع الاستلقاء لأستند على مرفقي كنت أتصبب عرقًا، مُحرجًا...خائفا منكسرًا...خف الرجال نحوي وحملوني الى الحمام... عاونوني على غسل وجهي، تنحيت عنهم محاولًا الاغتسال أو التطهر لكني لم أستطع حمل جسدي.

في النهاية خرجت معهم حيث الباقين في انتظارنا، جرت نسرين نحوي تحاول احتضاني أو حملي.

- لقد حضرت موت (روكجيشتاين)... هيلدا روكجيشتاين قتلت زوجها... أصابهم الجنون بعد موت صغيرهما (ويلفريد) ... حطم هو أصابعه مقسمًا ألا يعود للعزف... وحين ضعُف قتلته فوق هذا البيانو أثناء كتابته لحن أخير تخليدًا لذكرى ولدهما (ويلفريد).

قالت بوليفيا بوروشينكو بالانجليزية وهي تنظر لي في حسرة بينما نظرت فلوجار في تعجب:

- "اسك تي چو دي بيانو؟...لو بيانو فيو توا"[١٩].

قالتها في دهشة مكشوفة... لي أنا طليق البيانو الذي لم يقرب مثيل له إلا حينما رأى هذا المثير الرائع.

نظرت لي نسرين من تحت إبطي

- علشان كده رفض إني أجرب... كان عايزك أنت...الدعوة ليك أنت من الأول... أنت اللي سمعت روك جاشتاين...رغم إني عزفت شوبرت.

بدأت أدرك... أنا من سمع (روكجيشتاين)... أنا من سمع كونشرتو الطبيعة بالخارج...من أدرك تناغم أرتام موسيقى المكان... الكونِستلير يريدني أنا... أدرك الجميع ما يحدث، ودون اتفاق تفرقوا في القاعدة المحدودة حولنا... من لا مكان كان كل منهما إما واقفًا إلى جانب آلته الموسيقية أو وجدها بين يديه... وفي الركن كانت كاتبة النوتات المعدنية اللامعة الكلاسيكية تعكس الإضاءة فوقها... إنها آلة متحفية بكل تأكيد.

حاولت تحرير ذاتي من نسرين التي بدأت في النحيب:

- بلاش يا إدي...بلاش...هيموتك... خلينا محبوسين مع بعض... بلاش تموت نفسك عشاني.

قبلت رأسها مواسيًا و مطمئنًا، كنت أريد بشدة أن أخبرها أنني أنا من يريد العزف...وقعت في غرام هذا اللعين... أن ما أشعره تجاهه من عاطفة لا أعتقد أنها لاتزال موجودة بيننا أنا و هي...

١٩- هل تعزف البيانو؟ إنه

أشرت لها ناحية الكاتبة وتوجهت هي إليها في يأس، تمسح دموعها مما أكد لي أنها قالت ما قالته بدافع الوفاء ليس إلا...

الآن لدي حبيب مختلف.

استقر كل منا في مكانه...كان عقرب ثوان الساعة يقترب من بيت الثانية عشر وعقرب الدقائق يكاد يستقر فوق بيت السادسة ليعلن الواحدة والنصف... مع بداية الدقيقة الأولى من النصف الثاني من الساعة بدأ العزف.

اشتركت ضلفات النافذة معنا بنقر الإيقاع...كانت البومة بالخارج، صرصور الحقل والضُفضع الوحيد مشاركين لوتريات وآلات نفخ الحاضرين، حتى نقرات نسرين على الكاتبة كانت تشارك في اللحن، صوت طائرة نفاثة ما بالأعلى شاركنا، صوت أنفاسنا شاركتنا، صار كل الكون موسيقى داعمة لنوتة لحن (روكجيشتاين).

ظللت أعزف وأعزف، أصابعي تؤلمني... لم أكن أعزف بسرعتي المعهودة، كانت يدي تتحرك من تلقاء نفسها، عاد ضخ الدم الشديد إلى شراييني، حتى أن جرحي أنفي وعيني بدءا في النزف مجددًا وعروقي تنفر مع كل نقرة تقوم بها أصابعي على إحدى المفاتيح... خُيل لي أني أرى دخان يخرج عن البيانو... بخارًا يصعد من رأسي وكتفي وشعور جارف بدورة شبقية جديدة أخوضها...

لكني أتحكم فيها عوضًا عن أن تتحكم في كالسابق... كنت أنا من يقود... أتخيل كل نغمة قبل نهاية سابقتها و الآخرين فقط يسايرون اللحن.
كنت أطفو وأطفو... انتفى شعور الخوف وامتلأت باللذة... تراءى لي (روكجيشتاين) و (هيلدا) و (ويلفريد) الصغير يقفون بالخارج...
أنا أعلو وأعلو... انتهيت الآن مما كتب...

الآن أتمم لحن روك جاشتاين الأخير...

شارفت على الانتهاء...

اقتربت من الشبق...

أشعر بالتعب...

أشعر باللذة...
دفقة أخيرة من الدماء في عروقي...

نقرة أخيرة من أصابعي على المفاتيح...

نشوة أخيرة أصل لها هذه الليلة...

انفتحت الشبابيك و الأبواب فجأة مفسحة ضوء النهار الوليد...انتهى الجميع... رأيت نظرة الرضى في عيونهم كمن انخرطوا في ملحمة جنسية جماعية، يستفيقون من نشوتها سويًا شاعرين بالرضى... مبتسمين...عالمين أن فتح الأبواب يعني أننا جميعًا أحرار.

الجزء الثامن

ملأت أخبار (مجموعة بحث روكجيشتاين) العالم وشغلت المهتمين وغير المهتمين بالفنون.

أخبار عالمية عن (اشتراك أستاذين مصريين في إيجاد وتصحيح لحن وليم روكجيشتاين الأخير، من بقايا نوتاته وعودة الفنانون الذين اختفوا للمشاركة سرًا في المشروع إلى حياتهم الطبيعية، تدفقت الأموال على حساباتنا البنكية وسُجلت المقطوعة في تراث اليونسكو).

هكذا اتفقنا أن ينتشر الخبر...
قبلت نسرين وسام الفنون والعلوم عن كلينا ورفضت بالنيابة عني العودة إلى الكونسرفتوار...
خرج الجميع...

لكني فضلت البقاء إلى جوار عشيقتي الجديدة...

بيانو الكونِستلير...

أصبحت المدير الجديد لفندق "كلافيير كونِستلير".

أستمتع بالبيانو وحدي يوميًا...

وأسمح للضيوف القليلين، ومنهم زوجتي في زيارتها الأسبوعية لي هنا بمشاركتي أيام السبت بالاستماع إليّ أعزف عليه.

تمت
٢٠١٨/٩/٩

شيباري

الجُزء الأول

إن سألت يومًا عن (طارق هاشم)؟!

سيُخبرك من يتذكرني أنني كنت ملكًا غير متوج، آمر فأُطاع، يقف طابور المنتفعين و المتزلفين منتظرين مني أمرًا أو رغبة ليُنفذوها لي، مجرد مروري العابر في حياة أحدهم يجعل منه نجمًا مميزًا في مجتمع الجامعة والنادي.

تهتم الفتيات بأناقتها ومظهرها علِّي أنتبه إلى واحدة منهن، يقوم الشباب بتقليد سلوكياتي وأسلوب صرفي وتعاملاتي مع الجنس الأخر، كنتُ (وأكرر) كنتُ مثالًا يحتذى به.. مال وفير، سيارة فارهة، وسامة العرق التركي البارزة، وجسد إغريقي تمامًا.

بالضبط.. هذا ما أريد قوله.. كنت ربًا إغريقيًا بين متعبديه في مجتمع الجامعة والنادي الرياضي.

هل ينتبه الرب إلى العباد؟! ربما إن كان ربًا حقيقيًا، لكن بالنسبة لي كان من النادر أن أنتبه إلى المتعبدين ما لم يقدمهم الكهنة إليَّ و ليس هناك أكثر من كهنتي والتابعين ليقدموا لي يوميًا وجهًا جديدًا.

كنت في حاجة إلى رب فوق الأرباب ليجذب انتباهي، شغفي، وحواسي التي أصابها عطب الميكانيكية والتكرار، لا أعلم إن كان منكم من اختبر ذلك قبلًا، لكنه ممل إلى حد الألم.

أن تشرب الخمر فقط لأنه أغلى ما يمكن شربه، تتناول الكافيار والفياغرا لأنه شيء لم يتوفر بعد ما هو أغلى منه، أقوم باصطياد الفتيات فقط كي لا تبقى أنثى جميلة خارج نطاق شباكي.

كَمْ هو مؤلم أن تمارس جنسًا رائعًا تلقى عليه الإعجاب والاستحسان بينما لا تشعر أنت به! أن تدَّعي أنثى وصولها للنشوة؛ فذلك معروف ولربما حظى بالقبول المجتمعي لكن يدَّعي رجلًا ما الوصول إلى النشوة الكاملة فإنه لشيءٍ بائس حقًا، ملل قد يدعوك إلى الانتحار.

حين أخبرت طبيبي النفسي بمشكلة افتعال النشوة وعادات الاستهلاك و التبضع القائمة على الملل، حذرني من الاندفاع نحو الانتحار عارضا تقنيات سلوكية و علاجية متعددة، لم أشتر الدواء...كان رخيصًا!

إجمالًا.. كنت على استعدادٍ للقيام بأي شيء جديد مهما كان عجيبًا ... فقط للاستمرار.

قبل إجازة نصف العام بأربعة أيام، وعلى لوح الأخبار الملاصق لبوابة القسم، وُضع إعلان صغير مكتوب على ورقة ٤A ينتظر أن ينظر إليه أحد الطلبة باهتمام، الأمر الذي لم يحدث.

«كورس الانتباه الحسي الذاتي».

THE BMIU

FACAULYU OF HUMANITY AND ARTS

«كورس الأنتباه الحسي الذاتي»

تتشرف الجامعة بالتعاون مع جامعة مايباشي كيواي جاكون بجونما اليابان بتقديم المنهج الدراسي الفريد و الاول من نوعه.. الانتباه الحسي الذاتي.

طبقا لنظام التعاون المشترك بين الجامعتين تقدم البروفيسورة إتسوكو شانچي مادتها العلمية التجريبية «الانتباه الحسي الذاتي من خلال ورشة عمل تدريبية».

مدة الدراسة سبعة ايام مع إقامة كاملة خارج الحرم الجامعي.

مكان الدراسة قرية (....) الفيوم جنوب القاهرة.

يؤهل الكورس الطلبة بالاتي:

- شهادة معتمدة من جامعة مايباشي كيواي جاكون و جامعة BMIU بإتمام كورس الانتباه الحسي يؤهل الى الشهادة المتقدمة في العلوم الانسانية من جامعة مايباشي كيواي جاكون و المعتمدة دوليا.

- رفع المجموع التراكمي للبكالوريوس من جامعة BMIU.

- الطلبة المنقولين لمستوى الانتباه الحسي الخارجي يحصلون على درجة البكالوريوس في العلوم الانسانية المعترف به دوليا من جامعة مايباشي كيواي.

تكلفة الكورس (....) شاملة المادة العلمية المكتوبة و الاقامة كاملة...

الطلبة المؤهلين...

طلبة علوم انسانية (انثروبولوجي. طلبة علم النفس. طلبة علم الاجتماع) من الصف الرابع ممن يتخطى مجموعهم التراكمي ٢٠٠ درجة في الاعوام الثلاثة الاولى.

ملحوظة... يتم تأجيل الدراسة النظامية للطلبة المختارين...

الجزء الثاني

لما لا أشارك؟!

أملك المال والوقت، كما أملك كل شيء.

توجهت لمكتب شؤون الطلاب حيث ملأت الاستمارة المطلوبة، مليئة الأسئلة ذات إجابات الاختيار المتعدد الصعبة التفريق في مقاصد معانيها، إلا أنني استمتعت بالتجربة حقًا وجِديَّتها.

انتظرت ميعاد المقابلة الشخصية مع الدكتورة اتسوكو، بعد ثمانية وأربعين، كنت قد بُلغت بالميعاد وحضرت إلى المكتب المُعَد للمقابلة.

ولجت عبر الباب لأجدها امرأة أربعينية متوسطة الجمال ذات شعر طويل معقوف (ذيل حصان) وتعبيرات باسمة، إلا أن ضيق عينيها زادت ابتسامتها إشراقًا، ترتدي تاير بُنيّ اللون، جالسة إلى المكتب الخاوي من طقمه أو من أي شيء آخر، عدا صينية خشبية وُضع عليها إبريق شاي بأعلى شمعة صغيرة تُبقي ما به ساخنًا وفناجين صغيرة ورقية.

خلفها وقف رجل أسيوي أخر حليق الرأس وجهه مفرودًا بلا تعبير، يرتدي بنطال أسود وقميص أبيض قطني.

- سيد هاشم...

قالتها وأشارت بيدها نحو الكرسي الذي جلست أنا عليه دون اهتمام، وبدأ الرجل في صب مشروبي في فنجان بينما تابعت هي:

- يسعدنا ابلاغك أنك من الطلبة المؤهلين لكورس الانتباه الحسي الذاتي.

تناولت الفنجان من الرجل الذي مد به كلتا يديه مبتسمًا بين عدم الاكتراث أو امتلاك رد معين تابعت هي:

-ورشة العمل المبدئية تستمر لسبعة أيام، تبدأ في تمام العاشرة مساء اليوم.

شعرت بعدم القدرة على المتابعة، هل حقًا ستبدأ كورسها اليوم مساءً، هل الوقت كاف؟

بدت كلماتها غير مفهومة قليلًا.

-لقد قمنا بمراجعة ملفك الدراسي، كما أننا قرأنا تقييمك النفسي السابق ووجدناك مطابقًا لمتطلبات الكورس تمامًا.

كنت أفقد قدرتي على التركيز رويدًا رويدًا، وكأنني تحت تأثير سيجارة حشيش رخيصة مخلوطة بحبوب الهلوسة.

-طبقا لشرط الإذعان في استمارة الالتحاق؛ فأنت الآن ضمن دراسة تجريبية مؤهلة كدارس، وعيِّنة تجريبية أيضًا.

بدأت أشعر بالطنين في أذني، و بدأ صوتها يتماهى تمامًا، حاولت أن أقاطعها، أخبرها أن شيء ما ألمَ بي فوجدت شفتاي تزنان أطنانًا فلا أستطيع رفع إحداهما عن الأخرى، بحثت في جيوبي عن هاتفي ببطء وكأنني تحت الماء..

-كما لا يحق لك الاتصال بالعالم الخارجي أو التواصل مع من هم دون التجربة.

تقدم الرجل مني ساحبًا الهاتف الذي حاولت إخراجه من جيبي ووضعه أمامي على الطاولة.

- لقد شربت الآن شاي (جيوكورو) المخلوط بمنوم قوي، عندما تستيقظ... سنبدأ.

كانت جملتها هي آخر ما سمعت قبل أن أقع عن الكرسي، وأقدام الرجل تقترب مني كانت هي آخر ما رأيت.

الجزء الثالث

بدأت أستعيد الوعي شيء فشيء، لم يكن هناك أي شيء واضح، فقط أصوات أنين مكتومة تصلني، صحيح أني فتحت عيوني لكن لم تستطع أن ترى أي شيء في البداية، خلال دقيقتين أو يزيد اعتادت عيني على الإضاءة الخافتة الهادئة ، وبدأت أُدرك ما ألمَ بي، لقد تم تخديري و ها أنا... أتألم!

كان جسدي مربوطًا...أنا لا يُخيل إليَّ!

كنت مربوطًا ومُعلقًا من أعلى في وضع أفقي مائل بزاوية ٧٠° ذراعايَّ مكبلان خلفي بينما الحبل السميك يحز في لحم صدري و...

أنا عار أيضًا، اكتشفت من طبيعة شعوري بالحبل حول رقبتي فَصدري وبطني... أعضائي الخاصة وعجزي وساقي أيضًا... معلقًا كذبيحة مائلة أفقيًا بتلك الزاوية الحادة،رأسي تُمثل قِمتها،وقدمي أقرب للأرض بميلٍ شديد تفصلني عنها بضع إنشات.

حاولت فتح فمي والنطق فانطلقت أنَّة طويلة كتمها القماش الحريري الناعم المربوط حول فمي، وبدأت حينها أُدرك أن ما أسمعه هو أنين آخرين حولي، أُميز بينهم أصوات نسائية ورجولية...

ظللت على هذه الوضعية قرابة النصف ساعة حتى مللت، ومَلُّوا الأنين بعد محاولاتٍ عدة للفكاك استنفذت كثيرًا من القوى دون جدوى، كانت الحبال أو ربما هو حبلٌ واحد قوي محكم تمامًا.

في النهاية سمعت صوت سحب خشبي لباب وكأنه باب جرار، شعرت بالخُطى، مرت أقدام الرجل أمامي، قدم كبيرة حافية سارت متخطية إياي على الأرض المغطاة بالحصير الأصفر وأطراف رداء أسود تصل لما دون ربلته تتطاير في خفة مع حركته.

في النهاية بعد أن خرج عن مجال رؤيتي وصلني صوت اصطكاك معدني لتروسٍ معه، ابتدأ جسدي في الاعتدال، كانت زاوية تعليقي تقترب من٩٠° بينما ساقاي تُجذب أوتوماتيكيًا نحو بطني في وضعية أشبه بالجنين، حتى صارت ركبتي في أقرب موضع ممكن لمعدتي. يحز الحبل بظهري وأكتافي فأتألم مُصدرًا أنَّة رُغمًا عني ألتقط معها أنات الأخرين.

وعيت ستة آخرين، ثلاثة فتيات وثلاثة فتيان معلقون في الأركان بوضعياتٍ مشابهة لي ... إنهم... إنهم زملاء لي في الجامعة... لقد تم اختطافنا جميعًا.

معلقين في ذات الوضعيات بذات العريّ مُظهرًا أجسادهم الشابة بين الحبال ببنيتهم المتباينة، و لا أعلم لما وجدت في ذاتي قدرًا من الاستثارة لمرأى الأجساد المربوطة كجسدي؟!

مشى الرجل حتى صار في منتصف الدائرة التي علقنا حولها ليكون في مجال رؤيتنا.

كان هو مساعد الدكتورة (اتسوكو) مرتديًا ما يشبه الكيمونو الحريري الأسود، المنقوش برسومات البامبو و اللوتس الملون بالأبيض و الرمادي.

استدار ناظرًا لكل منا عين بعين وكأنه يواجهنا بحقيقة وضعنا المؤلم والمُخزي... كانت الفتيات الثلاث قد بدأن النحيب المتواصل لكن إحكام المناديل حول أفواههن منعهن من الصراخ، كانت ألوان المناديل تتباين بين الست و لا أعلم عن أمر كِمامتي أي شيء (أبيض، أصفر، أحمر، أخضر، أزرق أم برتقالي)!

تمتم بعض كلمات أحسبها باللغة اليابانية التي ميزتها لأسلوب إلقائها البادي كخليط بين الشِجار والمواء، ومن ثم رفع سبابته نحو كل واحد فينا و كأنه يعد ويتوعد إيانا بنبرة تهديد أدت مهمتها في بث الخوف في قلوبنا حتى وإن لم نفهم منها حرفًا.

في نهاية تهديده سمعت صوت سحب الباب مجددًا، مجال رؤيتي المحدود لم يسمح لي برؤية من دخل إلينا لكن خَطوهُ المتلاحق قصير وسريع الوقع لم يدم حتى وجدنا المرأة أمامنا...

لم أستطع تمييز (اتسوكو) في البداية مرتدية كامل زي الكيمونو بشعرها المنفوخ والمرفوع لأعلى، طبقات زينتها مع الأمشاط والمدليات، وجهها ويديها المصبوغون بالأبيض، وحبة الكرز المرتسمة على شفتيها الدقيقتين في الأساس.

كان الكيمونو الخاص بها أزرق مزركشًا بالأحمر و الأبيض، مع حزام عريض أحمر تم لفه بعناية ،بيدها مروحة ورقية مغلقة تحملها كصولجان، تنظر إلى كل منا بنظرة وإيماءة مقتضبة مع حني رأسها كأنها تحيينا، لكني ميزتها في النهاية منطقيًا، كان أداؤها مسرحيًا موترًا.

ما إن صارت في مواجهة الرجل إلا وانحنى أمامها جالسًا على ركبتيه، أمسك قبقابها الخشبي ذو الكعوب الأمامية والخلفية بيديه يثبته على الأرض فنزلت هي عنه في خطوتين بجواربها البيضاء المشقوقة، من ثم حمله هو وقام واقفًا بينما استدارت هي ناحيتنا وذهب هو بهما خارج مجال رؤيتي، وبدأت الحديث بالإنجليزية:

- أعزائي... السيدات و السادة.... أهلًا بكم في الاكتشاف الحسي الذاتي... لا أريدكم أن تشعروا بالخوف... القلق.. أو حتى بالخجل.... أنتم الآن داخل التجربة بذاتها... فنحن لا نحب استخدام المقدمات النظرية الغير مفيدة... نحن في خِضَمِ التجربة الأولى.

كانت تحدثنا ناظرة إلينا في هدوء، وكأنها تشرح شيء منطقي... كلماتها الهادئة المفسرة أثارت غضبنا دون اتفاق و من جديد حاولنا الفكاك والخمخمة تعبيرًا عن الرفض؛ فلم تُقدم أي تفسير وتتمادى في الحديث مُديرة أعينها بيننا... إلا أنها قالت بشكل مقتضب حازم به نبرة صارخ بينما تضرب مروحتها الورقية يد بأخرى:

- كاتو سان... كوتشا ستتو أو موتته كورين دي تاتته كوداس.

و من ثم اكملت....

- من الآن لن نتعامل هنا بالأسماء... لقد تأكدنا أنكم جميعاً لستم أصدقاء و أسماؤكم غير معروفة لبعضكم البعض.

ما إن أتمت حتى صار كاتو خلفها واضعًا مخدة صغيرة خلف قدميها، واستدار واضعًا صينية ذات أرجل قصيرة صف عليها إبريق شاي وفناجين صينية، ورجع إلى مكانه بالمؤخرة.

انحنت للجلوس بينما امتدت يمناها مارة أمام الكيمونو كي لا تنفرج ضلفتاه عند جلوسها برقة فتيات الجيشا، وجلست راكعة في النهاية أمام طقم الشاي خاصتها و بدأت توجه الكلام لنا مجددًا:

- أنا «رآدي ماستا»[1] ايتسكو...

وهو (مشيرة إلى كاتو) كاتو سان... أما أنتم:

- ايتشي. ني. سان. شي. جو. روكو. شيتشي[1]

كنت أنا شيتشي.

كان الإجهاد قد بدأ يستبد بنا، استشعرت قطرات العرق تزحف على جبهتي نحو عيوني بينما لمعت أجساد الأخرين بالعرق معطية انعكاس زيتي على أجسادهم.

١- المعلمة العظيمة.

٢- الأرقام من ١ الى ٧ باليابانية.

انتهت من اول رشفة من مشروبها الساخن فسمعنا صوت صلصلة التروس و كأن كاتو سان استجاب لفعلها في البدء بشيء نجهل كنهه. لم يستمر انتظارنا لجزء من الثانية حيث بدأت ارجلنا في التمدد بفعل اراحة الاحبال حتى لامست اصابعنا الارض... صارت لنا القدرة على الارتكاز ان اردنا...

شاب من الثلاثة الاخرين (شي) كان لديه انتصاباً واضحا ظهر مع هبوط ساقيه لوضعهما الطبيعي , انتصابه دفعني الى النظر في عيونه التي عكست العار الشديد... حسنا (شي) مازوخي!!. تلك هي اول اكتشافاتي

لم اكن الوحيد الذي توجه بنظره ناحية (شي) لكن الجميع نظروا اليه بقدر سماح زاوية رؤيتهم و تعمدنا قسرا الا ننظر الى منطقته الخاصة كي لا نزيد من كي جرحه النفسي... كلنا نتشارك الموقف المهين.

- حسناً.. اعتقد ان لدينا فائزا هنا.. (شي) هو اول من اكتشف في ذاته ميلا حقيقيا لفن الكينباكو[٢].. لقد تم ربطكم اجمعين بطريقة الشيباري[٣] التقليدية للوصول بكم الى اكتشاف الجزء الغائم من شخصياتكم.. جزء حسي جدا.. تم جذب الأحبال في وضعية تشي تسوري شيباري[٤] انتم مرتكزون بقدر سماحكم للأخرين بالارتكاز..كلما غير احدكم مركز ثقله تغير مركز ثقل آخر.. تستطيعون الجري لأربعة خطوات فقط قبل ان تفقدوا نقاط ارتكازكم و

٣- فن من فنون استخدام الحبال لعمل عقد وقيود حول الجسد تستخدم في الخيالات الجنسية اليابانية.

٤- فن الربط والاتزان .. له طابع حسي قوي ويساء فهمه بكون فن جنسي كـ الكينكابو لكون الفروق بينهم غائمة الا ان اليابانيين يفرقون بينهم بشكل جذري.

٥- وضعية الإتزان القائم (يمكنكم مطالعة العديد من وضعيات الشيباري من المواقع المتخصصة في الفنون التراثية اليابانية).

التأرجح في اي اتجاه بعدها طبقا لسرعت ركضكم و عكس اتجاهها...

تبادلنا النظرات الجانبية غير عالمين ما المطلوب منا.

- انتم في معرض اكتشاف قوة ارتكازكم... من يسقط من؟ ... ربحك يعني انك اشتريت بمجهودك راحة لمدة احددها انا من التعلق.... كاتو سان نادته و كأنها تستدرك امرها له فنطق شيء ما و رفع التروس حتى لم اعد اشعر بالأرض سوى على اطراف اصبعي الكبيران... وقفت غير عالما ما علي القيام به... الا ان (ني) كانت الاسرع في رد الفعل...

جرت بقدر الامكان نحو المنتصف حيث جلست رادي ماستا اتسوكو غير عالمين ان كانت تحاول النيل منها ام تثبت جدارتها... و ما ان فعلت ومع خطوتها الرابعة الا و ارتفعت هي و (جو) عن الارض كلية الى الأعلى و صارت (جو) معلقة في وضع عامودي و عادت ساقيها لوضع الجنين متأرجحة في الهواء (ني) من ناحية أخرى تأرجحت جيئة و ذهاب بين مركز الدائرة و موضعها السابق لتعود لموضعها الاولي السابق في النهاية و قدماها على الأرض تلامسانها بطرفي اصبعيها الكبيران و ما ان استقرت الا و بدأت (جو) في الهبوط المتباطئ و كأن هناك رافعة سحرية بينهم و قد استعادت اتزانها .

فهمنا جميعا حينها ان اتزاننا مرتبط بأحدنا الاخر... و عندها جرى (ايتشي) بصعوبة الى الامام هو الاخر و شعرت انني ارتفع... لم اعلم كيف اتصرف فالقيت بوزن جسدي الى الميمنة مع دفعة بطرف اصبعي مستغلا وضع جسدي العامودي مع ثقل راسي الطبيعي .

ما ان قمت بهذا الا و تأرجحت في دورة كاملة حولهم كأني سوبرمان طائرا حول الحجرة . كدت خلال طيراني ان اركل رادي ماستا اتسوكو و عدة الشاي لكن حركتي رفعت الجميع بلا استثناء في وضع الجنين..... اذا اتزاننا مترابط كليا لا شخص لشخص كما اعتقدت...

اتممت دورتي ليلمس جسدي الارض افقيا كأنني انام على جانبي الأيمن بينما ارتفعوا هم نحو السقف... و كأنهم اتفقوا على رد الضربة مالوا جميعا عدا (شي) عل جنوبهم مثلما فعلت انا سابقا فارتفعت انا بعنف مع (شي) لأعلى... تكور (شي) تماما محاولا مداراة جسده وكانت اثارته تشتد بشكل مضطرد بينما انا لن يقتلني خجلي مثله... لم استطيع امالة جسدي للجانب كالسابق... مقاومتي الوحيدة كانت ان افرد ظهري تماما مقاوما وضعية الجنين ... ركلت ساقي قدر المستطاع و حاولت فرد ظهريو كأنني اقفز غاطسا الى الوراء متحملا الم اعتصار الاحبال الليفية لجسدي.. و للغرابة فقد ادت التقنية دورها جيدا بسلاسة فوجدت ذاتي اتوجه للرض خلفيا لتكون رأسي لأسفل بينما هم يدورون على اجنابهم فما كان منهم الا ان اصطدموا جميعا صدمات عدة...

كان (شي) اعلى من مجال اصطدامهم و الذي – الاصطدام - ادى (بجو) الى الصراخ الما عبر الكمامة الحريرية حينما لكمت رأس (روكو) معدتها بينما التف حبل تعليق (سان) حول (اتشي) و صارت معلقة في وضع الجنين حيث خلفية كتفاه ملتصقتان بمؤخرتها و كأنه يحملها على ظهره كأطلس... كانت (سان) ذكية فقلدت حركتي بالاستدارة الخلفية مما عصر حبل (شي) و حبال الاخرين و بينما كنت انا اكثرهم راحة نحو الارض جريت مجددا في نصف دائرة فاردا نفسي على الجانب ...حادثن تفسي ان قفزة كتلك سأسمها (تحليق النسر) كان جزء مني يستمتع حقيقة باللعب.

التوى حبل (شي) كالزمبرك مما اعطاه تسارعا مع سقوط (سان) الحر للخلف و دورتي السفلى طائرا على جانبي.... مما جعل الاربعة الاخرون يرتطمون ارتطاما اخيرا قويا ببعضهم البعض و التفت احبالهم حول بعضهم البعض....

سقط ثلاثتنا في هدوء (سان و شي و تشيتشي) و كأننا نهبط بهدوء بينما تعلق الاربعة الاخرين كعنقود عنب مشوه فوق رأس رادي ماستا اتسوكو.....

صرخ كاتو سان صرخة و كأنه يعلن نهاية المباراة.... غير عالمين اي الفريقين انتصر.

بيديها صفقت مهنئة الفائز بطرق مروحتها المذمومة على كفها

- السقوط ارضا لا يعني دائما الخسارة... ربما هو الارتكاز. كما ان الطيران عاليا لا يعني بالضرورة السمو... ربما فقط هو فقدان القدرة على النزول.... (سان و شي و تشيتشي) ... لديكم الان وقت طويل من الراحة....

داعب كاتو سان التروس مجددا فصرنا ممدين تماما على الارض. اتى بوسائد من ركن الغرفة و فرد وسادة تحت رأس كل منا بعد ان غير تغيرات بسيطة في الاحبال, لم يحلها و لكن بيديه المدربة قام بتغيير عقدة هنا و عقدة هناك.... الان صرنا نستطيع تحريك رقابنا بحرية و لم تعد اكتافنا مشدودة الى الخلف... خلع عن ظهورنا السلسلة الكبيرة التي ربطت ظهورنا بحبل التوازن الأساسي بالجميع و غطآنا بأغطية حريرية رقيقة...

تابعته بعيوني يعين رادي ماستا اتسوكو على النهوض لترتقي قبقابها الخشبي مجددا و و ما ان خرجت الا و اتانا بمشروب ساخن ليسقينا نحن النيام الثلاثة جرعة من الفنجان ..جرعة واحدة كانت كافية. خرج مغلقا الباب و الانوار بينما يتنامى لمسامعنا صوت همهمات الالم صادرة عم الاربعة المعلقين بأعلى.... شعرت بالإجهاد... رغم ان استفاقتنا كانت قصيرة لكني غفوت لحظيا....

الجزء الرابع

استفقت على صوت صلصلة التروس... لم توقظني الحركة او الحمل... لا اعلم كيف تسنى لرجل متوسط البنية ان يحملني ليعلقني بالخطاف مجددا و كيف اني لم استيقظ.

فتحت عيوني فكان كل شيء مختلف انتصب امامي حائط ورقي مزركش... كان الامر اشبه ببناء اسطوانة كبيرة من الحوائط المتحركة قابله للدوران. نقش على الحائط امامي نقش كانچي[٦] ياباني مع رسمة لطائر لقلق معلق من منقاره الطويل بفروع لبلاب... نهاية لوحة الحائط كانت بداية لوحة للحائط التالية الذي لم يتسنى لي رؤية ما بها من زاويتها الجانبية كما اني لم استطيع رؤية باقي زملائي.....

لكن الالم في فكي نبهني انه غير منضغط كالسابق.... حاولت تحريكه
فاكتشفت انني غير مكمم.....

صرخت بعلو عقيرتي... لم اعلم بما اصرخ... صرخت طالبا النجدة.

- الحقونيييي .....الحقونااااا ...

وكأن استجدائي النجاة اعدى من معي و لا اراهم فبدأت الصرخات تتوالى.... ظللنا نصرخ و نصرخ و نصرخ ربما لنصف ساعة متوالية حتى بحت اصواتنا و كادت احبالنا الصوتية تتمزق.... في النهاية صمتنا لحظيا دون اتفاق أيضا, ربما اجهدنا سويا فتوقفنا سويا ! لم يمر وقت طويل حتى سمعت احدهم ينطق... كان احد الشباب

٦- الكانجي هي النقوش اليابانية التي تعادل الحروف والاسواط وهي مقتبسة برمتها من الاحرف الصينية.

- يا جماعه... حد هنا عارفني... حد فيكم يعرف التاني... انا اسامه فخري.. تالته سيكولوجي... حد فاهم حاجه.

كدت ارد نداؤه لكن فتى اخر استجاب

- انا.... انا.... بلاش نعرف الأسامي.... متركزوش في وشوش بعض يا جماعة.... احنا معانا بنات... بلاش فضايح ليهم و لينا.

- فضايح... و ديني و ما اعبد لاوديهم كلهم ورا الشمس... انا هخلي بابا يموتهم بالحيا

كانت واحدة من الفتيات تشترك معنا صارخة و صوتها متشبع بالأهانة فأجابها صاحب الفكرة

- طب اسمك ايه؟!

صمت مطبق استمر لدقائق قبل ان تنطق في النهاية

- اوعدونا ع الاقل.... محدش يقو.....

قبل ان تتم جملتها فتح الباب قاطعا استرسالها و قد بدا انها اقتنعت بفكرة عدم معرفتنا بشخصيات و أسماء احدنا الاخر و دخلت رادي ماستا اتسوكو و خلفها كاتو سان... دون ان ينظرون تجاهي... عيونهم موجهة الى الامام حيث اخترقوا اسطوانة الحوائط بما دل على ان الجهة ناحية الباب غير مغلقة بإحدى اللوحات كالتي تقابلني.

ظلا مختفيان بالداخل لدقائق قبل ان نستمع الى صوتها.

- اتمنى ان يكون الصراخ افادكم... يقوي الاحبال الصوتية و يفتح فصوص الرئة لتلقي مزيداً من الهواء... لقد استفدتم كثيرا لو تعرفون....

اتممت باليابانية جملة ما فهمنا انها موجهة لكاتو سان. فان ارادتنا ان نفهم لقالتها بالإنجليزية والتي اجاب عليها بصوت المواء الصارخ و منثم استمعنا الى قرقعة خشبية و كأنه عرك باب جرار.. بالفعل بدأت الحوائط الدائرية في الاستدارة و بدأ صوت الة وترية يعزف عليها بنغمات من تلك الشرق اسيوية ذات التبديلات الغريبة في المقام الصوتي.. مع تبديلها وجدت ساقاي ترتفعان دونا عني الي جانبي جسدي كضفدع حيث ركبتي صارتا بمحاذاة جانبي في وضع هجوم السومو ... تغيرت الصورة امامي... طائري لقلق يحومان في الجو بأعلى بركة بداخلها سمكة ذهبية.

قطع تركيزي في المشاهدة صوت صرخة ذكورية... لم اعلم سببها و لكنها جمدت اوصالي... تبدلت اللوحة امامي مع التفاف الحائط عادت ساقاي الى وضعهما الطبيعي مع تقوس قليل قعر ظهري قليلا... صورة سمكة ذهبية تسبح بأسفل كوبري مائي و سيدتان ترتديان الكيمونو بأعلى الكوبري معطيات ظهرهما للسمكة بينما تديران راسيهما اليها صرخة اخرى انثوية.. الموسيقى مستمرة مع دخول نقرات الة ايقاعية بدائية تلك المرة كانت صورة لرجل جالس و امرأة تمسك ما يشبه السيتار الهندي لتعزف عليه مرت امامي بينما ارتفعت ركبتي اليسرى اماما و مدت ساقي اليمنى بزاوية خلفية كراقص باليه يتقافز جانبيا

صرخة انثوية ثالثة اخرى بصوت مختلف

ظلت الصور تتبدل هكذا امامي مع صوت الصرخات يتبدل مع كل لوحة و وضعيتي تتبدل بين الثلاث وضعيات المؤلمة المهينة ... بينما تتناغم الموسيقى بشكل ما مع الصرخات التي عددتها ثلاث و قبل التبديل الرابع سمعت ذات صوت الصرخة الاولى...

لكنها كانت مليئة بالغضب تلك المرة.. من الواضح ان هذا هو صوت (ايتشي) الذي بدا كتينور اوبرا يصدح بالكابوكي مع الالة الوترية و النقريات العجيبة و من ثم صوت غاضب من (ني)... ثم (سان).. ثم صرخة فزع من (جو)... ثم صوت لم اميزه ربما يعود لـ (روكو)

كانت الحائط يهم بالدوران و انا غير عالم ما سيحدث... سأصرخ فزعا ام حقدا... ما الذي دفع ايهم لأي الصرختين مع بداية التبديل رفعت ساقاي في وضع السومو مجددا لكن أيضا تم امالة ظهري للوراء قليلا ربما بزاوية ٨٠

تبدل الحائط المصور في النهاية لأجد اطار فارغ.... بداخله كانت مرآه....

يا الهي انا لست هذا الجرذ المعلق.... انا لست هذا الشاب العاري مفتوح الساقين في وضعية الولادة.... اعضائي الخاصة المعلقة ظاهرة للعيان جعلتني اشعر بالدونية الشديدة مع رأسي الممتلئ عرقا و افكارا و حز الاحبال المدمى حول اكتافي... لم اشعر بألم الاحبال الا حين رأيتني بذاك الوضع المشين... و صرخت بعلو عقيرتي... الما... فزعا... خجلا...

تبدلت الحوائط من جديد مع الوضعيات... كنت اسمع صرخات الباقين المتغيرة و انتظر... تبدل وضعي الى وضع افقي تماما و كأني خروف معلق بأداة شواء... تلك المرة لم يكن الحائط يحمل مرآة... كان مفتوحا حيث جلست رادي ماستا اتسوكو تعزف السيتار الغريب و كاتو سان يمسك جالسا بالة الايقاع... ملأني الغضب.... كنت ارى المجرمان يجلسان دون اكتراث للعزف.... و يصبان جل تركيزهما على الالتين الموسيقيتين بينما انا معلق كالذبيحة.. من جديد لا اعلم لم وجدت ذاتي اصرخ عليهما صرخة وحشية مليئة بالغضب....

مر المشهد و قبل ان اصمت كنت قد فهمت... تناغم صوتي مع عزفهما... استطعت مع تبدلي الصور و تبديل الصرخات ان افهم كيف يتماهى و يتناغم صوت الصراخ مع صوت الموسيقى فقط حين قمت بربط كلاهما ببعضهما البعض ... تبديل المرآة و الأطار المفتوح و تبديل صوت الصرخات...

لم يكن الصوت صوت (ايتشي) ف (ني) ف (سان) الخ _ كل مرة!! كانت الاصوات تتبدل و الحائط يدور يمينا مرة و يسارا في أخرى , بدأ مرحلة التبديلات مع يمينا و يسارا مع ارتفاع وتيرة العزف و الخوض في اللحن اكثر ... الحائط يعزف بنا... و لكل منا نغمة... اثنتان.... التف الحائط و كان مفتوحا ايضا تلك المرة و بداخله مرآة اخرى وضعت بزاوية تعكس فتحة اخرى... في الانعكاس رأيت (جو).... كان المنظر لا يختلف عن وضعيتي كثيرا الا انه اكثر ايلاما ان رؤي على فتاة.... تلك المرة صرخت و كأني اود ان نتشارك الألم, حقيقة اردت ان اصرخ مناديا عليها.. ان اطمئنها لكن الحائط التف قبل انتباهها.... حسنا ثلاث نغمات لكل منا....

و استمر العزف....

بشكل او باخر صرت اعلم نوعية الصرخة التي انا على وشك صراخها بمجرد تبديل وضعيتي قبل ان ارى المفاجأة المكررة خلف الجدار.... كعروسة معلقة بالخيوط صرت انفذ دون وعي... اصرخ عاليا... منخفضا... مستمرا... متقرقرا....

صار دوران اللوحات الحائطية اسرع بين اليمين و اليسار و صار جميعنا يحفظ الصور و ترتيبها و يعلم بما عليه الصراخ في كل مرة ...صرنا مدربين على نوعية الألم النفسي و ننفذ كفئران تجارب مطيعة ... بشكل او بآخر صرنا نعزف مع رادي ماستا اتسوكو و كاتو سان...

و استمر العزف.... صرخاتنا صارت اكثر خفوتا ربما من التعب و ربما لانتفاء المفاجأة... لكن صار علينا الالتزام... و لا اعلم لما صرت انفذ دون وعي حتى مع رفضي الانصياع.. لكن مشهدي منفرج الساقين كان مخزيا مقززا... كان يدعوني للصراخ في كل مرة....

لكت الوقت يمر... اؤكد ان ساعة او يزيد مرت من العزف دون كلل من العازفان و المطربين.... حاولت... حاولت ان امنع نفسي... لم انجح في اول.... ثاني... رابع مرة...

وعندما كانت الدورة القادمة ستنفرج ساقاي.... اردت بشدة ان اتوقف عن الصراخ...

كانت كل ذرة في جسدي تصلي لله الا ارى ذاتي مجددا هكذا... و جاءت استجابة صلاتي... لا اعلم من اين واتتني الفكرة كيف انها لم تأتني قبلا (اغلق عينيك).... أغلقت عيني تو ان بدأت اللوحة في التبدل وعددت ال (تيمبو) الزمني لبقاء اللوحة بذهني و من ثم فتحت عيوني فوجدت لوحة السمكة الذهبية امامي.... نجحت.... نجحت

اعدت الكرة... و بالفعل بدأت الموسيقى تهتز دون صوتي... صار لزاما علي ان انصحهم.....

- غمضوا عنيكوا.... غمضوا....

استمر العزف و دوران الحوائط لكني استشعرت استجاباتهم واحدا تلو الاخر.... كان توقف الصراخ و الذي اتى تتابعا على مدار وقت ليس بالقصير اشارة نجاة لي... كنت اعلم ان كل واحدا منهم يشكرني بداخله.... شعرت ان ميزان حسناتي يمتلئ بالحسنات.

استمر الوضع بين التوقف و الصراخ لمدة ربع ساعة تقريبا كان اللحن فيها يهتز بكثير من الفراغات و الإيقاعات النشاز دون اصواتنا .في النهاية لم يكن هناك صوت سوى للسيتار و الايقاع... دورتان كاملتان بدون صرخة واحدة مسموعة مرتا و كأن رادي ماستا اتسوكو تتأكد من صمتنا و منثم توقفت الموسيقى تدريجيا بـ فيد اوت... حتى عم السكون...

ثانيتين من الصمت و السكون الحركي كانتا كافيتان لي لأصرخ فرحا معبرا عن انتصاري... لكني لم اصرخ وحيدا... صرخنا نحن السبعة في سعادة متممين و معلنين نهاية اللحن المقيت.

قاطعنا صوت تصفيق من المرأة و الرجل.

- انصعتم بشكل جيد و تناغمتم بشكل جيد... حسنا (شيتشي) هو اول الناجحين.. لكن (اتشي و شي و ني) كانوا رائعين ايضا.... للمذكورين وجبة ساخنة و على الباقين تحمل عواقب الفشل...

نزلت بنا الاحبال في هدوء و خرج الزوج الياباني المقيت و اغلقت الانوار و بدأت رائحة زهرية عطرية تنتشر في الجو حولنا تدغدغ حواسنا المنهكة .. سننام مجددا... كيف يجعلوننا نشعر بالاجهاد رغم فترات استيقاظنا الـ ربما وضعوا مخدرا في... وجدتني اذهب في سبات من جديد.

الجزء الخامس

تلك المرة استيقظت لأجد ذاتي متكورا في ركن الحجرة الخاوي... لازلت عاريا... حاولت مد جسدي و التمطع بعد كل تلك المدة من التكبيل لأشعر بالألم الشديد الذي شابته الراحة بالرغم من كل شيء.... استمرار القيود على جسدي لفترة لا اعلم قدرها قد يبست عضلاتي. لكن انا افضل على الاقل انا غير مقيد.

نظرت حولي فوجدت باقي الناجحين... اربعتنا في الاركان الاربعة من الغرفة... امام كل منا حساء به كائنات ما تركت مرعاها في المحيط لتسبح في الاطباق السوداء مع عصي الطعام.

اعتدلت و امسكت بالطبق و شعرت بالجوع الشديد تو ان لامسته اطرافي... هممت برفعه نحو فمي فالتقت نظراتي بـ (ايتشي) على الجهة الثانية... تبادلنا ابتسامته باهتة... و سبقني هو رافعا الطبق مرسلا رأسه الى الخلف ليتجرع الحساء... لكن مع رفع رأسه... ارتقت نظراته لأعلى... وقف الطعام بحلقه و تحشرج باصقا اياه في فزع دفع ثلاثتنا للنظر بأعلى....

كان الثلاثة ممن لم ينجحون في الاختبار معلقون من وسطهم بعل كثريا بشرية كبيرة سيقانهم و اذرعهم متوجهة لأسفل و الدموع منهمرة من عيونهم كندفات مطر عزيزة في اواسط الخريف. كانت اكفهم و ارجلهم موضوعة بداخل اكياس من الخيش في مشهد مهين مذل

- ده.... ده عقاب علشان فشلو... ؟

سألت (ني) فزعة و لم تجد اجابة حيث جميعنا فاقدين الفهم.

ترددنا غير عالمين ان كان علينا ان نسد جوعنا ام نذهب للباب ام نعاود الصراخ الغير مجد...

قمت انا متثاقلا.. حاولت الوصول لأيادي المعلقين و تبعتني (ني) اما (اتشي) و (شي) فتوجها ناحية الباب محاولين ايجاد نقطة ضعف به يمكن اختراقها بلا جدوى...

كانت يدي ابعد من ان تلامس يد اي منهم...

وقف اربعتنا في النهاية تحت الثريا البشرية لم نهتم بمداراة عرينا فيما عدا (ني) بالطبع و الاتي استخدمت ذراعاها لمدارة جسدها دون جدوى و غضت بصرها للأرض املة الا ترى مشهدنا الخارج. لكنها فضلت الوقوف قربنا آمنة ايانا في وضعنا المشترك.

في النهاية واتتني الشجاعة فطلبت من (اتشي) ان يحملني كي اصل الى المعلقين محاولا حلهم.. قبل في البداية.. لكن ما ان تلامس جسدينا الا و القاني تفذذا.

كانت المرة الأولى التي اقابل فيها بالرفض . انا طارق هاشم ... معبود الجامعة ... انا... صرت مجرد (شيتشي) اقابل بالرفض.

نظرت للآخرتين... ابيتا... ابى الجميع ان نحاول حل المربوطين....

عدنا جميعا الى اركاننا و انا اشعر بالأسف....اذ لن يكون هناك طعام للثلاثة المعلقين...

هممنا بالأكل و لكن صوت عرك الخشب اوقفنا مجددا.... هبطت السلسلة بالثلاثة حتى صاروا ممدين على الارض قمت فزعا ناحيتهم... كان العرق و الدموع يغطي ملامحهم... اقتربت ناحية (سان) و من ثم تذكرت فهرعت الى طبق الحساء آتيا به.... و مددته نحو فيها....

تجرعت هي منه القليل... فدرت به على (روكو) ثم (جو) و عندها هالتني المفاجأة.... صار الطبق خاو بينما انا لم آكل.. نظرت نحو المحررين الثلاثة اللذين شربوا في هدوء من اطباقهم... كرامتي منعتني من التفوه بطلب الطعام.... انا لم آكل لكن مازال بداخلي بقية من إله... و الثلاثة المربوطون لم يشبعوا... كانت تضحيتي فارغة و غير ذات جدوى...

بدلت عيوني بينهم لكنهم تجاهلوني تماماً...اخرجت ذاتي من فكرة الشفقة و استعدت شخصيتي.... حاولت ان اجد منطقة حرة من عقد الاحبال كي احل وثاقهم دون جدوى.... لم يكن هناك مناص.... حاولت الولوج بين اجسامهم... لم يكن احتكاك اجسادنا يعيقني او يثيرني... كانت همهمات الفتيات فزعا لملامستي اجسادهن تشعرني بالشفقة.. الا انها لم تدفعهن لمنعي او نهري لمعرفتهن بنبل هدفي....

حين كان ذراعي «محشورا» تماما بين الثلاثة سمعنا صوت قرقعة الخشب مرة اخرى....

حوائط الزوايا الاربع في الغرفة تحركت كباب منزلق لتظهر خلفها ما بدا كأربعة اروقة ضيقة.... توقف الثلاثة عن الاكل و نظروا تجاه احدهم الاخر غير عالمين ان كان عليهم التوجه الى داخل تلك الاروقة.

- ايه.... نعمل ايه.... ندخل

قالت (ني)

- لا... كلنا نختار سرداب من دول و نمشي فيه سوا

- لا.... التجربة المجنونة ان كل واحد منا يواجه... تجربته... يبقى كل واحد يمشي في سردابه

وصلت بهم الحيرة ان توجهوا بناظريهم ناحيتي... كنت انا من اوجد الحل و انتصر في التجربتين المنقضيتين... لكني كنت ابغضهم و ابغض ان افكر نيابة عنهم... هم من لم يقدموا لي طعاما... نظرت ناحية ركني فوجدت السرداب يناديني... و بدأ العرك من جديد.. الابواب ستعاود الانغلاق.. لم يجد اي الثلاثة بدا من الولوج من تلك الابواب سريعا و حاولت انا للحظة ان احرر يدي علي الحق ببابي قبل ان ينغلق.. لكني توقفت تماما مع انغلاق الباب فاستمريت بالبحث عن منطقة ضعيفة.. وجدتها في النهاية و بدأت حل وثاقهم... انتهيت.

كنت و الثلاثة الفاشلون احرارا.... اشارت اب (سان) نحو الاكياس التي تغطي كفيها... لكنها كانت محاكة بعناية حول الاكف... لم يكن هناك مناص فيها

- انا.... محتاج اكل

قلتها فاقد الامل و تركتهم متوجها لاحد الاركان.... فساروا خلفي طائعين...

كان الطبق شبه خاو... فحملته و هم خلفي الى الثاني فالثالث... استطعت من فتات الثلاثة ان املا طبقا ابتسموا تجاهي قبل ان ارفعه الى فمي

شربت القليل... شعرت بان اوصالي و عروقي تمتلئ بالحياة مع سريان السائل شديد الملوحة ذو الطعم السمكي في حلقي.... رويت ذاتي... رافضا ان ابلع اي من تلك الكائنات الصغيرة... مددت الطبق اليهم فوجدتهم مقبلين... اياديهم مكبلة

فجلست و جلسوا حولي و بدأت اطعم أفواههم كأطفال او حيوانات اليفة مطيعة.... شبعوا و امتلأت قليلا بالفخر مستعيدا القليل من شخصية الإله... و لا اعلم كيف او لما شعرت ايضا بالشبع... و بشيء اقوى.... شيء تصلب بين منفرجي.... و تعجبت كيف تسنى له الانتصاب و انا في تلك الحالة... لكني لم اشعر بالخجل او بالعار كما حدث ل (تشي) سابقا.... ربما هو اشباع غريزة الجوع ما فتح باب الرغبة للمطالبة بإشباع غرائز اخرى... كيف انتصبت بينما لم يصيبني ذلك و انا محتك جسديا بهم... ربما تلك الاثارة العارضة شيء طبيعي بالرغم من كل شيء.... شيء طبيعي لا يدعو للخجل.

ضحكوا لمرأى الصاري المرتفع... كانت ضحكات الفتاتان غير خجلة اطلاقا دعتني للابتسام انا الاخر و نظرت نحو منفرجي باسما

- مش وقتك خالص

القيت بظهري للخلف و فردت قائمتي نائما.... و دون تحفظ او انتظار وجدت (سان) تستلقي الى جانبي... لامستني بطول جسدي مرسلة الي اشارة كهربية كادت ان تحرقني و ان تفجر بركان الشبق بداخلي... تعلقت بي بيديها المربوطة تمسك بكتفي و ثديها يضغط ذراعي دون اهتمام . نظرت نحوها فوجدت على ملامحها نظرة امتنان.

امتنان؟

لم تكن نظرة جنسية... كانت الفتاة ترد لي جميل اطعامها بتلك الوضعية.... و ساعتها تذكرت مقولة ان الجنس كان اول سلعة في التاريخ و ان الدعارة كانت المهنة الاولى...و لأول مرة آمنت بداخلي بخطأ تلك المقولة... الجسدانية تعبير عن التقارب و الود.... الجسدانية امر مختلف تماما عن الجنس... ووجدت ذاتي استدير لأسألها

- سان ... انت عارفه انا مين ؟! ... اقصد عارفاني

- الشخص المقرف اللي كنت اعرفه ... مش هو (تشيتشي) اللي نايم قدامي دلوقت

استرحت لجملتها ... لم تكتن تقتنص الفرصة لاحتضان طارق هاشم .. لم تكن تستغل فرصة التودد للإله ... بل كان فعلا عرفان بالجميل لـ (تشيتشي) المتفاني .

اخرجني من تفكيري شعوري بالثدي الاخر... على يساري كانت (ني) تستلقي في ذات وضعية (سان) حسنا... نمن هانئات يا فتياتي.... لو يعلم اي انسان ان الـ (شيباري) كان ليؤدي بنا لهاذا الوضع... ما عساه كان ليقول.... لكن... ماذا عن (روكو)

رفعت رأسي فوجدته يستلقي ملتصقا ب (ني) هو الاخر... كان اربعتنا متلاصقين بشكل مريب و قذر... الا انه كان آمن كأربعة جراء تحتمي ببعضها البعض من برودة ليل عاصف .... وصل انتصابي لحد الالم... حررت يداي التي سرتا فوق جسدي باحثتان عن قضيبي المستعر... لكن حين وجدته لم تداعباه.... فقط امنتا غطاء يداريه رغم عدم محاولة ايهم النظر نحوه... و كما فعلت فعل الجميع استلقوا جميعا على ظهورهم و بأيديهم حاولوا بقدر الامكان تغطية البادي من اجسادهم.... كأني انا من قادهم للجسدانية بانتصابي... و انا من قادهم عنها بستر جسدي ...

اكلنا... و أُشبعنا عاطفيا بالتقارب.... فنمنا.... من جديد لا اعلم كيف ان فترة استيقاظ قصيرة تدفعني الى نوم عميق بعدها.

الجزء السادس

استيقظت من جديد... كان الوضع قد صار اكثر تأزما مع فقداني التام للشعور بالزمن... لا اعلم عدد ساعات نومي و بالتالي لا استطيع ان احدد ان كنا صباحا او مساء... في اليوم الثاني او الثالث....لكني اتألم... اتعرض للحرق.

كنت مشدودا كوتر... ساقي اليمنى مفرودة افقيا و مكبلة من الكعب الى الحائط... و ذراعي الايسر مفروداً بشكل افقي و مكبل من الرسغ الى الحائط المقابل... ساقي اليسرى بالكاد تلامس الارض فتبقيني واقفا و ذراعي الايمن مكبل في وضع القائم خلف ظهري كجناح دجاجة على مشارف الذبح. و حرارة شديدة تحرق كعبي و رسغي و منفرجي لا ادري مصدرها.

لم يكن بإمكاني الوقوف معتدلا... او مستريحا.... كنت وحيدا في الغرفة. لكن بتدوير رأسي لاحظت في الركن ضوء. حين تطلعت له وجدته ليس اكثر من انعكاس لي على مرآة حيث وضعت ثلاث شمعات في اماكن الاحتراق واحدة تحت رسغي بسنتيمترات قليلة و اخرى تماثلها تحت كعبي و ثالثة بين منفرجي و ان كانت المسافة بينها و بين جسدي اكبر...

امامي تراصت ثلاث مواسير نحاسية صغيرة تشبه فوهات الابواق و حينما تتبعتها آلما بعيوني وجدت نهاياتها بأعلى كل شمعة بعدة سنتيمترات ...

كان مجهدا جدا ان تطال شفاهي ايها... و لكن بقليل من الأرجحة كنت استطيع ان اصل لواحدة منهن في كل مرة

في المرة الاولى اصبت اول انبوب و نفخت بعزم لكن الهواء الصادر لم يؤثر في الشمعة تحت رسغي... فقط بردت الهواء و خففت الالم قليلا...

الثانية فعلت نفس الشيء بين منفرجي فلم اجرب الثالثة....

حسنا, فهمت التحدي...

سيكون علي محاولة تخفيف الالم في منطقة على حساب الاخرى و التبديل بين مواضع الالم حتى تذوي الشمعات الثلاث... ما قد يستغرق وقتا الله اعلم بمداه....

بالطبع كان قراري لحظيا و منطقيا... استطيع ان اتحمل عرجة بسيطة في قدمي اليسرى او فقدان كامل كفي الايمن... لكن تلك التجربة السخيفة لن تمنعني من نشر بذوري و چيناتي ابدا.

في البداية كنت اتأرجح لأنفخ بشكل متواصل مما اشعرني بالإجهاد حتى استطعت في النهاية ان اضبط ايقاع للنفخ... أرجحة مع الاستنشاق... امتداد مع كتم النفس... نفخ.... كان الامر اشبه بتقنية النفس في السباحة.... لكن بعد لحظات اكتشفت ان التضحية اللفظية بباقي اعضاء جسدي ليست بتلك السهولة عمليا.

من الغريب ان ذكورتي هي اول ما فكرت في حمايته... لكن انسانيتي الامنة اجبرتني على معادلة الوضع... بعد تفكير جهيد اتبادل فيه الألم بدأت القيام بعملية معادلة.... انفخ مرتين لمنفرجي و مرة ليدي و مرة لساقي.... و في كل مرة قبل العودة للنفخ في انبوب المنفرج كانت رائحة عانتي تحترق اشد ارعابا و الما من الشعلة الخافتة ذاتها.

لكم بقيت على هذا الوضع؟

ساعة... ربما تقل او تزيد لكن مع بداية شعوري بخفوت الألم منبئ باقتراب انطفاء الشمعات الثلاث فتح الباب.

دخل كاتو سان و بيديه قصعة كبيرة مليئة بسائل يشبه اللبن. توجه به نحوي واضعا اياه تحت ساقي اليسرى المعلقة و من ثم جلس اليه و داعب صفحة السائل باحثا حتى وجد ضالته... قماطة كتانية مشربة بذلك السائل تنتهي

بشريط مستعرض... قام بها و قام بلفها بين ساقي ساحبا الشريط من امام وسطي و حتى ظهري و احكم ربطه.... انها قطعة الملابس الاولى التي ارتديها في هذا المكان... قماطة اشبه بكوافيل حديثي الولادة... مال الى القصعة مرة اخرى واخرج شريط كتاني ابيض يشبه الرباط الضاغط وتوجه به نحو يسراي ومن ثم حل وثاقها.... مما اعطاني حرية وتحكم حركي أكبر فهويت بكفي الايسر مكورا اياه في وجهه لكنه مال للأمام في سرعة ومن ثم امسك برسغي المحترق باعثا فيه الم الجمني عن اي شيء عدا الصراخ.

نظر في عيني نظرة ثابتة واثقة بها من السخرية وعدم الاكتراث ما تشعل غيظي المكتوم أكثر فأكثر... ومن ثم بدأ في ربط الشريط حول رسغي...

حين توجه بالشريط الثاني نحو كعبي... امسكني من عقبي بقوة رافعا اياه الى الاعلى... كاستجابة لحظية لجسدي غير المرن تعثرت يسراي من على الارض لأسقط كليا وتظل ساقي اليمنى معلقة.... حل وثاقها دون ان يتركها قبل لف الكعب بالشريط المبلل.

لا أنكر ان رطوبة هذا السائل ولزوجته اشعرتني بتخدير لذيذ... لكن الالم منعني من الوقوف رغم محاولتي ذلك... يد مكبلة والاخرى محترقة... لم تساعداني على الاتزان والوقوف على ساق واحدة... هؤلاء الملاعين يعرفون تماما ما يقوما به.

جلست يائسا في مكاني ونادى هو

- رادي ماستا اتسوكو

دخلت رادي ماستا اتسوكو مرتدية الكيمونو وبيديها ثوب حريري ازرق مطوي وخرج هو مختفيا عن ناظري بينما التفت هي حولي لتضع الثوب على جسدي. عباءة زرقاء مزركشة بالأبيض كسحب ربيعية في سماء طوكيو.

جلست اخيرا وابتسمت تجاهي متسائلة

- سيد تشيتشي. هل تعلم ما قمت به خلال التجربة... كم تجربة تخطيت من الاساس

- ثلاث... الاتزان... الصراخ... والشموع

- بل خمسة الاتزان... الصراخ... الطعام... النوم... الشموع.... بقي لك اختباران لتتم دورتك.

انتبهت لجملتها... سجانتي تعلن أنى شارفت على الخروج

- الطعام والنوم كانا اختباران إذا... دعينا ننتهي منهم. اريد الرحيل

- انت لم تهتم بمعرفة نتائجك...

- اعلم أنى نجحت فقط في الاتزان والصراخ

بأصبعها الدقيق اشارت لطرف شفتيها ناغزة وكأنها تدعوني للابتسام

- التواضع من شيم الملوك...

- ملوك؟

دخل كاتو سان مع سؤالي كان يحمل بيديه حبلا طويلا كالسلب... وتبعه المسلبين به.... الستة مكممين مكبلين في السلب من ايادیهم كالعبيد او أسري الحرب.

لكن فريقي... كان الثلاثة يحملون نظرة طمأنينة على عكس الارتعاد الغاضب الذي لم يتغير على وجوه الثلاثة الآخرون

كان وضعي وقد ارتديت ملابس فوق جسدي افضل قليلا من الباقين...

الان صار هناك فريق جديد... العرايا و المهندمون... انا واحد من المهندمون... بالقطع انا نجحت

خرج كاتو سان و من ثم عاد حاملا صينية بها محبرة و اوراق تشبه البارشمان و وضعها امامي....

- سيكون عليك

- انا لا اجيد فن الكانجي...

قلتها حاسما الامر مقاطعا إياها غير عالما بما يتوجب علي كتابته

ابتسمت و اشارت نحو البارشمانات السبع... كانت كتابة انجليزية مكتوبة في سطرين بأعلى كل ورقة و بأسفلها اربعة او خمسة رموز كانجي في الاغلب تخبر بما كتب بالإنجليزية....

- سيكون عليك ان تقرأ كل وريقة و تختار صاحبها... و ترسم فوق جسده العلامة المناسبة.... امامك كل الوقت الممكن.

قالتها و قامت مع كاتو سان و قبل ان تخرج من الباب استدارت نحوي.

- تستطيع ان تحل وثاق ايا من تختار... ان اخترت.

اغلقا الباب خلفهما و حقيقة لم اهتم بحل وثاق ايهم او حتى حل كماماتهم... ان كان علي ان انهي اختباري وحيدا فانا لن يفيدني التشتيت.

الورقة الاولى: الجوع..... انت من تقرر نوع جوعك و انت من تقرر كيف تشبعه

الورقة الثانية: الجسد.... اتزانك امراً منوط بك وحدك لكن اتزان امورك هو امر بنوط بعلاقتك بالأخرين

الورقة الثالثة: القيادة..يولد جميع البشر تابعين..فقط القلة يولدون بموهبة القيادة.

الورقة الرابعة: الشبق... لا يوجد شبق طبيعي و آخر شاذ... هناك لذة و هناك مسببها و عليك اتباع ما يشعرك بها فهي ليست طقس

الورقة الخامسة: التكشف.... هناك من يعرف طريقه و هناك من يحتاجون الى من يقود الطريق

الورقة السادسة: الذات المضحية.... العلة كل العلة... هي ان تكتشف ذاتك

كان الامر محيرا... انا لم اتعرف عليهم لهذه الدرجة... ماذا ان وشمت اجسادهم بوشومات خاطئة.... ثم من انا لأقرر ايهم... استطيع بسهولة توقع الشبق... الجوع.. الجسد... لكن احتمالاتي ضعيفة في الباقين....

ملت على الفرشاة و حبرتها... لكن يدي لم تجرؤ على الحراك...

في تثاقل الوم قمت مرتكزا على ساقي اليسرى كانت نظرتهم نحوي و قد ارتديت ثوبا بينما هم عرايا وقوفا في قيود يحطم الاف الاشياء في دواخلهم... رأيت عيونهم لأول مرة من الداخل... من عمق انفسهم الحبيسة داخل الاجساد البضة. اتخذت قراري

خلعت الثوب القماط، و اربطة ساقي و رسغي و للغرابة فقد شعرت بتحسن كبير تو ان فعلت.. جسديا و نفسيا. و رأيت الاثر في عيونهم نظرات الانتصار و الفرح و الامل و العزيمة ... و كأن صديق قديم لهم قد عاد لتوه من سفرة طويلة.

- انا هفك لكل واحد ايد واحده... انا مقدرش احددلكوا انتوا مين. لكن انا قدامكوا و لكل واحد فيكوا اختيار .. في سبع وراقت وانتوا سته... يعني محدش هيجبر على الأختيار.

بعد نصف ساعة... انتهيت. تراصوا خلفي في تناغم بلا طلب. اخذت نفسا عميقا و صرخت (رادي ماستا اتسوكو) نداء واحد لم اكرره. استغرقها الامر دقيقتين لتدخل بخطواتها الرشيقة منتعلة قبقابها الخشبي لكنها كادت تقع حين وقعت عيناها علينا في تشكيلنا... على عرينا... على جسدي الذي تلطخ بوشومات الكانجي...

اختار كل واحد من الستة ورقة و نسخ رموزها فوق جسدي كلوحة فارغة... لم استطيع التأكد ان كان ايهم قد اختار ما يمثله او ما مثلته انا بالنسبة له.

على جانبي حيث نامتا (جو) و (سان) كتب التكشف و القيادة بأعلى عانتي كتب الشبق على صدري كتب التضحية بأعلى ظهري كتب الجسد و على بطني كتب الجوع وقفت مستعرضا ذاتي شاعرا بالفخر بالوسوم التي وسمتها... نياشين قلدنيها رفقاء رحلتي.

انحنى كاتو سان... و امالت رادي ماستا اتسوكو رأسها

- بالنيابة عن جامعة مايباشي كيواي اهنئك يا سيد هاشم بتخطيك اختبارين بإجابة واحدة صحيحة و اعلنك اول الناجحين في دورة الاكتشاف الحسي الذاتي...بأعلى تقدير استطيع منحك إياه.

مالت دون ثني ركبتيها و غمست الريشة بالمحبرة و ادارني كاتو سان و بدأت هي في الكتابة على ظهري... كنت اعرف جيدا ما كتبته....بالتأكيد انا لست ملكا ... و بالتأكيد لم اعد إله.

خاتمة

لم ينطق أيا منا بحرف عما تعرضنا له بشكل او بآخر شعرنا بالرضى النفسي....

استلم ثلاثة منا شهادة اتمام الدورة و ثلاثة اخرون تسلموا شهادة نجاح لكن النجاح الاكبر كان في اكتشاف كل واحدا منهم لذاته الحقيقية..... انا.....

وشمت الوسوم على جسدي لترافقني للابد... و الان وبعد ان تخطيت دورة الاكتشاف العام فانا اعمل لدى جامعة مايباشي كيواي كأستاذ منتدب لدى جامعات عالمية عديدة أخرى أصبحت (سوباراسي سينساي هاشم)

أستاذ منهج الاكتشاف الذاتي.

تمت

جميع حقوق النشر محفوظة.

ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب أو جزء منه أو نقله بأى شكل من الأشكال أو تدواله إلكترونياً نسخاً أو تخزيناً دون إذن خطي من الدار .